التواتي بومهلة

نماذج من الثورة في النص الشعري

دار المعرفة



التواتي بومهلة

نماذج من الثورة في النص الشعري

دار المعرفة

العنوان: نماذج من الثورة في النص الشعري

إعداد: التواتي بومهلة

التصميم والإخراج: ز. مريم قسم التصفيف - دار المعرفة -

ر.د.م.ك: 9 - 217 - 48 - 9961 - 978

الإيداع القانوني: 1971 - 2012

دار المعرفة

10 نهج عبد الرحمان ميرة باب الوادي الجزائر

http//www.elmarifa.com

ثورةَ الشّعر أنتجتْ ثورةَ الشّعب وعادت عليه بالآلاء

محمد العيد آل خليفة

وحـــدّثنا عـــن يـــومِ بَـــدْرٍ محمَّـــدٌ فقمنـــا نـــضاهي في جزائرنـــا بـــدْرا

مفدي زكريا

فمـــا الـــشّعراء إلاّ ثـــورةٌ غـــير أنّهـــا "تَصُولُ بلا كفَ وتسعى بلا رِجْل"

أحمد سحنون

بايعـــتْ مِـــن بـــين الـــشهور "نُفَمـــبرا" ورفعتُه مِن بين شعبي منبرا

صالح خرفي



محتويات الكتاب

ثورة نوفمبر

أولا: بيئة الثورة

لم تأت ثورة نوفمبر من فراغ، ولكنها خرجت من رحم معاناة الشعب الجزائري على مدى قرن وأكثر من عقدين من الزمن جراء القهر الذي مارسه الاحتلال الفرنسي على مختلف الأصعدة.

أ) المجال الثقافي:

عندما اندلعت الثورة كان الاستعمار قد انتهى تقريباً من مهمته الأساسية، المتمثلة في المسخ والتشويه والتجهيل.

فمنذ السنوات الأولى من الاحتلال، في القرن التاسع عشر، وتوازيا مع ما قام به من نهب للثروات الوطنية واستيلاء على الأراضي الخصبة الشاسعة، وتوزيعها على الكولون الجدد وعلى المؤسسات الاستعمارية المختلفة، راح يوظف كل ما لديه من قوة، ظاهرة أو باطنة، للقضاء على مصادر الثقافة الوطنية. فهدم كثيراً من المساجد، وحول أعداداً كثيرة منها إلى كنائس أو ثكنات أو مستوصفات، وحتى إلى ملاهي لأجناده وملخورات عمومية.

وفي نفس السياق وجه ضربات قاسية للمثقفين الجزائريين فقتل من قتل ونفى من نفى، وزجّ في السجون بمن شاء. وظل يطارد ويضطهد كل من بقي طليقاً قصد منعه من القيام بواجبه نحو المجتمع.

إذ تشير الإحصائيات قبل اندلاع ثورة نوفمبر إلى أن حوالي 19٪ فقط، من الجزائريين متعلمون، يدخل في هذه النسبة المئوية من يحسن مجرد القراءة والكتابة سواء بالعربية أو بالفرنسية.

وكانت جامعة الجزائر التي تعد، نظرياً، من أكبر جامعات فرنسا تجمع في مدرجاتها حوالي ستة آلاف طالب، لا يزيد عدد الجزائريين منهم عن خمسمائة طالب، معظمهم من أبناء الطبقات التي صنعها الاستعمار لخدمة مصالحه.

وفي مجال التعليم الابتدائي، مثلاً، نجد أن الأطفال الفرنسيين الذين هم في سن الدراسة كلهم يقبلون في المدارس التي تطبق البرامج السارية المفعول في "الوطن الأم"، وبواسطة معلمين أكفاء تعطى لهم كافة الوسائل الضرورية لأداء رسالتهم على أحسن وجه .

أما الأطفال الجزائريون، فإن المصادر المتزمتة نفسها تذكر بأنهم عندما يبلغون سن الدراسة، لا يجدون سوى مقعد واحد لكل خمسة ذكور، ومقعد آخر لعدد يتراوح ما بين ست عشرة وست وسبعين فتاة.

معنى ذلك أن طفلين جزائريين فقط من جملة حوالي ثلاثين كان يمكن لهما أن يدخلا المدرسة في سنة 1954، الأمر الذي يعني أن حوالي 7٪ فقط من أبناء الجزائر كان التعليم متاحا لهم، أضف إلى ذلك نسب الفشل والعجز عن مواصلة الدراسة نتيجة الفقر والاحتجاج خاصة.

و لم تكتف السلطات الاستعمارية بسد أبواب التعليم الفرنسي في وجه الجزائريين، بل إنها بذلت كل ما في وسعها لمحاربة اللغة العربية سواء في المدارس أو في الكتاتيب.

ولقد نجحت في ذلك إلى أقصى الحدود حتى أن الجزائر التي كانت قبل الاحتلال، توفر لأبنائها كافةً جميعَ الشروط اللازمة للحصول على نصيبهم في العلم والمعرفة، أصبح شعبها أمياً بنسبة حوالي ثمانين بالمائة سنة اندلاع الثورة.

وهكذا، فبقدر ما كانت الجالية الأوربية تستفيد من بناء المدارس ونشر المعرفة، كان الجزائريون يعانون من سياسة التجهيل التي نجح الاستعمار نجاحاً باهراً في تطبيقها على سائر الفئات الاجتماعية.

إن الإحصائيات الرسمية تنص بكل بساطة على أن الجزائر كانت سنة 1944 تشتمل على 6.500 قسم مدرسي في الابتدائي نصيب المسلمين منها حوالي 1000 لاستقبال 108.000 تلميذ أي بمعدل 108 تلميذ للقسم الواحد.

و في المقابل فإن عدد التلاميذ الأوربيين قد بلغ بالنسبة لنفس السنة 118000 موزعة على 5.500 قسم أي بمعدل 22 تلميذاً للقسم الواحد.

أما في التعليم الثانوي، فإن عدد التلاميذ الجزائريين سنة 1951 لم يكن يمثل سوى 6 و11 %من مجموع المسجلين في الثانويات. وفي سنة 1954 بلغ عدد الثانويين الجزائريين 6.260 من جملة 35.000 تلميذ، علماً بأن عدد السكان الأوربيين كان في ذلك الوقت أقل من عشر العدد الإجمالي للسكان.

وفي التعليم العالي، كان عدد الطلبة الجزائريين سنة 1948 لا يزيد عن 6 من بين حوالي600 أوربي. ومع اندلاع الثورة ارتفع ذلك العدد ليصل إلى 589 طالباً من بينهم 51 طالبة .أما الطلبة الأوربيون فقد كان عددهم 7800.

إن هذه الاحصائيات لا تكون كاملة إلا إذا أضفنا لها عدد الأطفال الجزائريين الذين كانوا يتعلمون بالمدارس الحرة والكتاتيب والتي كانت تستقبل منهم سنة 1954 حوالي 200000 تلميذ.

أما جامعات الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب الأقصى والأزهر في مصر فإن عدد الطلبة الجزائريين بها في تلك السنة قد يكون وصل إلى 1270 رحلوا إليها من مختلف جهات الوطن.

إن هذا التجهيل المخطط له، في الواقع، قد أدى إلى خلق مجتمع ساذج في أغلبيته، له نحو المستعمر شعور مزدوج بالإعجاب والكراهية: أما الإعجاب

فلِما توصل إليه الأجنبي من معرفة، وما حققه من تقدم وازدهار، وما حاز عليه من ثروة ورفاهية وسيطرة على التقنيات العصرية، وأما الكراهية فناتجة عن الإحساس بكون ذلك الأجنبي يمتص خيرات البلاد، وينهب أهلها دون أن يجد من يقف له بالمرصاد، وما من شك أن هذا الشعور المزدوج هو الذي ساعد، مع مر الأيام، على ميلاد ثم تطوير وتدعيم الحركة الوطنية في الجزائر.

ولكن الغريب في الأمر، أن المؤرخين الفرنسيين لم يعيروا الاهتمام لذلك الواقع الصارخ، وضربوا عرض الحائط بكل حقيقة يمكن أن تنقص من قيمة الأمة الفرنسية المتحضرة التي حملت نفسها، ظاهرياً، رسالة تمدين الجزائريين وإخراجهم من طور التوحش والهمجية.

ب) الصعيد الاجتماعي:

كانت المرأة، بالإضافة إلى ما يعاني منه الرجل، تخضع لظروف قاسية نتيجة التأويل الخاطئ لمبادئ الإسلام السمحة.

ولقد كانت وظيفتها تكاد تكون منحصرة في الطبخ والإنجاب، لذلك فإنها لم تكن في حاجة إلى العلم والمعرفة اللذين كان الرجل يعتبرهما مَعَرَّةً بالنسبة إليها، بل سُبَّةً حتى بالنسبة للواحد منهم، إذ الرجل الحقيقي، في ذلك الحين، هو الفلاح والتاجر وكل من هو قادر على جلب قوته، وسد حاجيات عياله بواسطة عضلاته. أما "الطالب" أو المتعلم فيحترم حقاً، ولكنه يعيش دائماً في احتياج، وعالة على غيره.

ومن الجزائريين، رغم كلِ شيء، من يوفر لِبناته تعليماً قرآنياً، وقلة قليلة جداً منهم من يرضى بإرسالهن إلى المدرسة الفرنسية. وسواء تعلمت الجزائرية في هذه أو في تلك من المدرستين، فإنها تلازم البيت، نزولاً عند رغبة العائلة ووفقاً لما تنص عليه عادات البلاد وتقاليدها.

أما أبناء الوطن الذين تسميهم الإدارة الاستعمارية بأسماء متعددة، فهم أحياناً: الأهالي الذين يحكمهم قانون تعسفي يسمى قانون الأهالي الذي يكاد يحرمهم من حق التنفس، وهم العرب في نظر الكولون، والمسلمون في نظر المؤرخين أمثال روبرت آجرون، فهم يمثلون عشرة أضعاف الجالية الأوربية، لكنهم لا يملكون شيئاً بالمقارنة مع ما هو في حوزة الكولون وليس لهم حقوق المواطنة ولا يتمتعون بأي نوع من أنواع الحرية.

وعندما نريد تقييم الإنسان الجزائري، تقييماً مطلقاً، فإننا نجد أن قيمته عشية اندلاع الثورة لم تكن أفضل من قيمة البهائم. فالإدارة الاستعمارية لا توليه أي اهتمام إلا عندما يتعلق الأمر بفرض مختلف أنواع الضرائب عليه. ونقول مختلف أنواع الضرائب لأن "الأهالي" في الجزائر، لم يكونوا يحكمون بقانون، بل إن حياتهم اليومية تسير وفقاً لمشيئة المستعمر الذي يخطط للمداخيل والمصاريف، والذي يوزع المهام ويخلق الأوضاع حسب إرادته وتماشياً مع مصالحه الخاصة.

إن الشرطة، في المدن، والحراس والشواش، في الأرياف، وكذلك القواد والباشغوات كلهم يأتمرون بأوامر غلاة المعمرين الذين لهم اليد الطولى في التعيين والترقية والعزل، لأجل ذلك، كثيراً ما نرى فلاحاً جزائرياً يُغرَّم لأنه ركب حماره، أو وُجِدَ يأكل الخبز والعنب في الغابة، أو أن أخباراً أفادت بأنه ذبح خروفاً أو ديكاً دون رخصة خاصة.

إن هذا التعسف، وعدم وجود السلطة المستقلة التي يحتكم إليها هما اللذان جعلا معظم أبناء الجزائر يفضلون العزلة والعيش على الهامش موكلين كل ما يتعلق بمصيرهم للقضاء والقدر، راضين بحياة البهائم المفروضة عليهم.

وبإيجاز، فإن سنة 1954، عندما تطل على الجزائر سوف تجد الطليعة فيها مشمرة على سواعدها قصد التصدي للفتور الذي أصاب الأمة، ونفض الغبار الذي حجب الرؤية، والعمل من أجل إزالة التشويه ومحاربة التزييف

والانحراف وسائر الأمراض التي نفثها المستعمر داخل مختلف فئات المجتمع.

وبفضل مجهودات تلك الطليعة، صار الأطفال الجزائريون يستنكرون أن يكون أجدادهم الغال[1]، ويفتخرون بانتسابهم للعروبة والإسلام، وصار الأهالي، في معظمهم، يدركون التمايز بينهم وبين المستعمرين وأبناء ما يسمى بالوطن الأم، وبعبارة أوضح، صار الوضع مناسباً والظروف ملائمة لإشعال فتيل الثورة التي سيكون لها الفضل في تقويض أركان الاستعمار الفرنسي.

ج) المجال الاقتصادي:

وفي الميدان الاقتصادي جاءت قرارات القادة العسكريين الفرنسيين ومراسيم السلطات الاستعمارية فأباحت اغتصاب أراضي الجزائر الخصبة الشاسعة بسبب مشاركة أصحابها في الانتفاضات الشعبية المختلفة وتسليمها بالمجان إلى المعمرين الأوربيين.

وبفعل عمليات الاغتصاب تلك تحول الفلاحون الجزائريون الذين كانوا، قبل الاحتلال، يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان، إلى مجرد خمّاسين أو أجراء موسميين أو إلى أناس عاطلين تماماً عن العمل يعيشون من التسول.

وما كاد يحل الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال حتى فقدت الجزائر قدرتها على تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي وتحولت من منتج للحبوب ومصدِّر لها إلى بلد مضطر لاستيراد المواد الغذائية الضرورية لحاجات سكانه.

إذ ركز الاحتلال على غرس الكروم المنتجة لعنب الخمور، وزراعة الحوامض التي كانت تدر عليهم أضعاف ما كانوا يجنونه من القمح والشعير.

---

[1] - الغال: أجداد الفرنسيين.

فتحولت الجزائر من بلد مزدهر إلى مستعمرة لا يستفيد منها سوى الكولون الذين اجتمعت بين أيديهم حوالي ثلاثة ملايين هكتار من أخصب الأراضي.

وعلى هذا الأساس فإن سنة 1954، أطلت في ظرف كانت فيه الفلاحة الجزائرية متقهقرة بالنسبة لما كانت عليه قبل الغزو.

وتُجْمِع الإحصائيات بالنسبة للعشرية التي سبقت الثورة، على أن الأراضي الصالحة للفلاحة، تبلغ مساحتها أحد عشر مليون هكتار: منها ثمانية بيد الجزائريين الذين يمثلون تسعة أعشار السكان، وثلاثة ملايين هكتار بيد حوالي خمسة وعشرين ألف مستعمر، لأن الباقي يحتكرون التجارة الخارجية والصناعة الهامة ويشغلون مناصب القيادة على اختلاف أنواعها في جميع الميادين.

أما الصناعة، قبل الاحتلال، فكانت أكثر تقدماً وأحسن تنظيماً، تشهد بذلك مختلف المصادر. إذ كانت الدولة الجزائرية، إلى جانب الصناعة التقليدية، تهتم كثيراً بمناجم المعادن المختلفة، وتولي رعاية خاصة لصناعتين كانتا أساسيتين في ذلك الحين، وهما صناعة الأسلحة والذخيرة الحربية، وصناعة السفن.

وبعد الغزو، وبالتدريج، أهملت الصناعة في الجزائر، لتتخصص البلاد شأن جميع بلدان العالم الثالث، في تصدير المواد الأولية. وما كادت الثورة تندلع حتى اختفت صناعتنا التقليدية، وصارت الجزائر تستورد كل شيء تقريباً، واختفت مصانع الأسلحة والبارود، وورشات البحرية الخاصة بصناعة السفن .وبالمقابل تضاعفت كميات المعادن المنجمية المستخرجة، والتي أصبحت سنة 1954، حوالي ستمائة ألف طن من الفوسفات، وثلاثة ملايين ونصف مليون طن من الحديد، وأربعمائة ألف طن من الفحم، إلخ...

وبقدر ما أنهك الاستعمار صناعتنا، قبل أن يقضي عليها، فإنه خنق التجارة الخارجية التي كانت، هي الأخرى، مزدهرة قبل الغزو الفرنسي. إذ تثبت

المصادر، على اختلاف لغاتها، أن الجزائر، قبل الاحتلال كانت تقيم علاقات تجارية مكثفة مع افريقيا جنوب الصحراء، ومع البلاد العربية وأوربا الغربية خاصة، وأن تجارتها تلك كانت مخططة وتدر على البلاد أرباحاً كثيرة، تستثمر في سائر الميادين. ثم جاءت آفة الاستعمار، وما كادت تمر السنوات الأولى من الغزو حتى أصبح ميزان التجارة الخارجية الجزائرية خاسراً لأن كل عمليات التصدير والتوريد صارت مقصورة على فرنسا.

وفي العشرية التي سبقت ثورة نوفمبر سنة 1954، لم يعد في استطاعة أي عاقل الحديث عن تجارة الجزائر الخارجية، بل كل ما هناك عمليات احتكارية تقوم بها كمشة من المستعمرين، يجمعون الأرباح لأنفسهم على حساب فرنسا والجزائر في آن واحد.

ثانيا: أهداف الثورة من خلال بيان أول نوفمبر

لا غرو، إذن، والحال هذه أن يتبنى بيان أول نوفمبر سنة 1954 النضال بجميع الوسائل وبلا هوادة من أجل هدم النظام الاستعماري واسترجاع السيادة الوطنية المغتصبة بواسطة تحرير الأرض وتحرير الإنسان بأتم ما في كلمة تحرير من معنى.

وعندما أشعلت جبهة التحرير الوطني فتيل الثورة، ليلة الفاتح من نوفمبر سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف، فإنها إنما فعلت ذلك لتجسيد إيديولوجية حزب الشعب الجزائري، لأجل ذلك حددت تحركاتها الأولى في إطار توجهات ثلاث.

1 - التوجه السياسي:

ويهدف إلى استرجاع السيادة المغتصبة عن طريق الكفاح المسلح الذي يجب أن يتحول إلى انتفاضة عامة تضعف الجيوش المعتدية، وتخرب الاقتصاد

الاستعماري وتفرض جو الحرب الساخنة على فرنسا فتنقاد إلى تفاوض كما حدده نداء الفاتح من نوفمبر سنة 1954.

وفي إطار هذا التوجه السياسي، دعت جبهة التحرير الوطني كافة التشكيلات السياسية إلى الإعلان عن حل نفسها رسمياً، ودفع مناضليها ومريديها إلى الالتحاق، فرادى، بالصفوف، وأكدت من خلال النداء الأول وفي مناسبات عديدة، أن التفاوض لا يكون إلا معها بصفتها قائداً للكفاح المسلح وممثلاً وحيداً للشعب الجزائري.

وكان قادة جبهة التحرير الوطني يطمحون، بصدق وإخلاص، إلى استرجاع استقلال الجزائر ضمن الوحدة الشاملة للبلاد المغاربية، وذلك تماشياً مع إيديولوجية حزب نجم شمال إفريقيا[1]، وإيماناً منها بأن تلك هي الطريقة الوحيدة لقطع خط الرجعة على الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه.

2 - التوجه الاقتصادي والاجتماعي:

ويرمي إلى استرجاع الأراضي المغتصبة وإخضاع مجالات الإنتاج والتسويق والاستثمار إلى التخطيط الذي يأخذ بعين الاعتبار واقع البلاد وإمكانياتها واحتياجات الجماهير الشعبية الواسعة.

وبواسطة هذا التوجه كانت جبهة التحرير الوطني تسعى إلى تغيير هيكلة اقتصادية واجتماعية وضعها الاستعمار الاستيطاني طيلة الفترة التي مكثها في ديارنا لتكون دعامة للاقتصاد في الوطن الأم، ولتبقي الإنسان الجزائري في حالة تبعية دائمة تمنعه من الشعور بذاته وتحول بينه وبين مسؤولياته ككائن له حق التصرف في شؤونه.

---

[1]- أسسه مصالي الحاج ومجموعة من المغاربيين في فرنسا في بداية القرن العشرين وكان يدعو إلى الوحدة المغاربية

ولم تبدأ جبهة التحرير الوطني، في عامها الأول، ببرنامج اقتصادي واضح، لكنها كانت واعية بأن السلطات الاستعمارية قد اغتصبت ملكيات الجزائريين الزراعية والصناعية خاصة إلى الكولون يستغلونها ويوظفون ثرواتها لتحقيق الثراء الفاحش وللتمكن من ممارسة الاستبداد والاضطهاد على السكان الأهالي، ومن شراء الذمم والأحلاف سواء في أوساط الحكام الفرنسيين بمختلف أنحاء الجزائر أو في فرنسا ذاتها.

ولقد تحول ذلك الوعي، في خضم المعركة، إلى رغبة ملحة في استرجاع كل ما أخذ بالقوة. وفي نهاية مرحلة الكفاح المسلح، ظهر التفكير جدياً في إرساء قواعد التسيير الذاتي الذي يعد، بحق، واحدة من الطرق المؤدية إلى انتصار الاشتراكية، والذي هو، في خطوطه العريضة، مأخوذ من تقاليدنا في الإنتاج والتسيير الاقتصادي قبل الاحتلال الفرنسي.

3 - التوجه الحضاري:

ويشمل مجالي الدين والثقافة انطلاقاً من مجموعة من الحقائق أهمها:

أ - أن الاستعمار لاقى مقاومة بطولية دعامتها المسجد ومصدرها في غالب الأحيان الزوايا التي كانت منتشرة عبر مختلف أنحاء البلاد، لأجل ذلك وجّه المستعمر ضربات قاسية إلى الدين ساعدت على تشويهه وتزييف تعاليمه وإغراقه في متاهات الشعوذة والدروشة، شأن باقي البلاد الإسلامية التي كانت تعيش جواً يسوده الظلم والاستبداد اللذين لا علاقة لهما بالإسلام، ويخضع للخرافات التي أبعدت الناس عن الدين الصحيح.

أما المساجد فإنه أفرغها من محتواها الثوري الذي وجدت من أجله، وحولها إلى شبه كنائس، وذلك إذا سلمت من الهدم ولم تحول مادياً إلى مقرات لمؤسسات أخرى مسيحية أو اقتصادية أو سياسية أو عسكرية.

إن هذه الحقيقة التاريخية هي التي جعلت الجزائر تلجأ إلى الدين:

تخلصه من بعض ما علق به من شوائب، وفي ذات الحين ترتكز عليه لتزويد المجاهدين بالطاقة الضرورية لهم في مواجهتهم لأعتى قوة استعمارية تفوقهم علة وعتادا، ولتعبئة الجماهير الشعبية الواسعة وتوعيتها بالوضع الجديد الذي يجب أن تتكيف معه حتى تتمكن من المشاركة الفعلية في معركة التحرير.

وبالفعل، فإن الذي يرجع، بتأمل، إلى تاريخ ثورة نوفمبر يرى أن التكبير والترغيب في الشهادة قد أديا دوراً أساسياً في تثبيت العزائم وتقوية النفوس وتجنيد أغلبية المواطنين حول جبهة التحرير الوطني.

ب - أن الاستعمار كان وما زال يدرك أن شعباً بلا ثقافة شعب ميت، وأن الاحتلال الحقيقي لا يتم إلا عندما يقضي على ثقافة الشعب المعتدى عليه. فانطلاقاً من هذه القناعة عمدت السلطات الاستعمارية، في بلادنا، إلى تجهيل الجماهير، وتزييف التراث الوطني وطمس معالم الثقافة ومصادرها، بادرت إلى صنع ثقافة جديدة لا علاقة لها بواقعنا، ومثقفين، من نوع جديد، زودتهم بالقيم والأخلاق الاستعمارية.

إن جبهة التحرير الوطني لم تكن تجهل هذا المسعى الاستعماري، ومن ثم، فإنها إلى جانب الكفاح المسلح، كانت تنظم، في الأرياف خاصة وفي أوساط المجاهدين بصفة عامة، حملات متواصلة لمحو الأمية، وتغيير الذهنيات الجامدة ولرفع مستوى الوعي لدى الفلاحين والعمال، كما أنها كانت تعمل، جاهدة على دعم الأخلاق الثورية المرتكزة على قيمنا العربية الإسلامية، تلكم القيم التي سيكون منها المنطلق لبلورة عناصر الشخصية الوطنية، ولتكوين الإنسان الجزائري الجديد القادر على الإسهام بفعالية في معركة البناء والتشييد من أجل استرجاع السيادة الوطنية وإقامة الدولة القوية المستقلة.

انطلاقة الثورة:

انطلقت الثورة فعَمَدَ المستعمر إلى كتم أنفاسها بكل ما أوتي من قوة، فاستخدم الأسلحة المحظورة دوليا في ضرب معاقلها وسَجَنَ ونكّل وتفنّن في صنوف التعذيب.

وأمام الأعداد الضخمة من الإيقافات التي باشرها وبعد ضرب جبل الأوراس بالنابالم الذي أتلف الأخضر واليابس في جزء كبير منها، عنونت الجرائد الاستعمارية في صحافتها الأولى" :بأن المنظمة الإرهابية قد قضي عليها نهائياً في الشرق الجزائري".

ومما لا شك فيه أن تصرفات السلطات الاستعمارية، أثناء هذا الأسبوع الأول من الثورة قد ساهمت مساهمة فعالة، وبطريقة عفوية، في تزويد جبهة التحرير الوطني بالكثير من المنخرطين الجدد، كما أنها ساعدت على نشر الرعب في نفوس الأوربيين والتشكيك في كل ما يمكن أن يصدر عن الهيئات الرسمية.

وبالفعل، فإن حملة الإيقافات العشوائية قد دفعت الكثير من المترددين إلى تغيير مواقفهم والالتحاق بالجبال، هروباً من السجون ومراكز الاستنطاق.

ومن الجانب الآخر، فإن المعمرين لم تعد لهم أدنى ثقة فيما تصدره صحافتهم من بيانات رسمية، خاصة، وأن تلك البيانات كانت قد ذكرت، في البداية بأن عدد المتمردين لا يتجاوز ثلاثمائة أو أربعمائة شخص، يوجد جلهم في منطقة الأوراس.

وبعد نهاية الأسبوع الأول من نوفمبر أفادت بأنه ألقي القبض على حوالي ألف من" الإرهابيين" وبأن العمليات العسكرية الحقيقية سوف تدخل مرحلتها الحاسمة في الأيام المقبلة.

ومن جهة أخرى، صدرت تعليمات برفع عدد المحتشدات والتجمعات،

ونشطت الرقابة السياسية في ميداني الثقافة والإعلام، حيث صودرت مجموعة من الكتب لأنها تتعرض لحرب العصابات وحروب التحرير بصفة عامة، ومنعت من العرض بعض الأفلام الأمريكية مثل "قنطرة وادي كواى" و"الجنرال" وغيرهما مما له صلة بالمقاومة والكفاح المسلح.

وعندما قطعت الثورة نصف عام من حياتها، كتب المارشال جوان إلى رئيس الحكومة الفرنسية السيد ايدكارفونر يحرضه على اتخاذ الإجراءات الصارمة. ومن جملة ما جاء في كتابه: إن الوضع في الجزائر خطير جداً، والمعلومات الأخيرة التي وصلتنا تنبئ بأننا نسير نحو انتفاضة معممة تحت لواء الجهاد، وذلك في سائر عمالة قسنطينة.

الشعر في موكب الثورة

لا ريب أن ثورة أول تشرين الثاني 1954 كانت ثورة عملاقة بل معجزة التحم فيها الفكر مع الزند والبندقية بالقلم، في زحف فدائي واحد، بإرادة مصممة واحدة.

وبذلك كانت ثورة مثالية متكاملة حققت كل المكاسب فوق أرض المعارك المسلحة وفي مختلف المحافل الدولية، واستأثرت بمكانة عزيزة ومرموقة في قلوب كل الأشقاء والأصدقاء وأنصار الحرية في كل مكان، وسجل التاريخ للجزائر من خلالها أروع الصفحات وأشرفها، وأعظم الذكريات في مواقف الشجاعة والمروءة والشهامة العربية النادرة.

وقد كانت ثقافة الشعب، المتمثلة في طباعه وأخلاقه وقيمه وعاداته العربية الإسلامية هي السلاح الإنساني الجبار للذود عن الكيان، والانتصار على العاديات، والصمود المعجز في جبهات النضال، للقضاء على أية محاولة عدائية للسيطرة والنفوذ، ومن أجل الحرية الكريمة التي لا يرضى أي عربي شريف بديلاً عنها.

ولا مراء أيضا في أن الشعر هو قطب الفنون الأدبية التي تختلف مستويات فعلها وتأثيرها في الأمم سواء منها تلك التي تنتج هذه الفنون أو تلك التي تتلقاها عبر وسائط مختلفة، مما هو مرهون بطبيعة الظروف وبمقدرة الفنان وأماناته.

ومن هذه الأمم أمتنا العربية التي توصف بالأمة الشاعرة فـ" الشعر ديوان

العرب"، عكس أوضاعهم، وحياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، حربهم وسلمهم، آمالهم وأشواقهم، في نطاق عام أو خاص.

فهي أمة شعر بطبيعتها، تنتجه وتتذوقه، وله مكانته المعتبرة فيها، ودوره المتعدد الوجوه الذي يكبر بطابعه الإنساني الناضج، فتتعدد لذلك مهام الشاعر الجيد المسكون بالفن وهموم الإنسان والإنسانية والوطن، فلا يقع أخيراً في هذه الدائرة المشعة المشبعة بالظلال الفكرية والفنية والمواقف الوطنية والإنسانية الأصيلة، إلا الشعراء الممتازون، ذوو المهام التاريخية، أولئك الذين لا يكتبون الشعر لهوا ولغوا وبحثاً عن مجد غير شرعي، قد تسهم فيه الدعاية الأيديولوجية والإشهار الحزبي والفئوي، بل استجابة لحافز إنساني سام قويّ، وتعبيراً عن موقف أصيل، وإعراباً عن فكرة جادة ناضجة، أو تصويراً لحالة إنسانية أو وضع مادي أو معنوي أو ما إلى ذلك.

يقول الربيع بوشامة:

أراكم نسيتمْ عهودا مضتْ	عهودَ " أُمَيّةَ " أو" تَغْلِبِ "[2]
فثُوروا على الظلم مثلَ جدودٍ	عَنَا[3] لهمُ الغربُ في الأَحْقُب[4]
فكم حَطَموا مَعْقِلا شامخا	وسادُوا مِن السُّؤْدد الأعجَب
وكم أرشدوا حائرا أو تائها	يقفز من الشك أو سبب
أرى الغربَ قد جمعوا شملَهمْ	على الشرق والشّرقُ مثل الصّبي
فدَرْسُ فلسطينَ درسٌ بليغٌ	يُذكِّرُنا الحِلْفَ في موكب
رُوَيْدَكَ يا غربُ لا تَغْتَرِرْ	فشمسُ بني الشرق لم تَغْرُب
وإنا سَنُرْجِع عهدَ الإخاء	ويجمع شمل بني يَعْرُب
فحَسْبُكَ بالضَّادِ[1] مِن نسبةٍ	إذا ما انتسَبْنا ودينُ النبي

---

[1]- الضاد: يعني لغة الضاد أي اللغة العربية

[2]- أمية هو جد الخلفاء الأمويين، وتغلب قبيلة عربية قوية منها كُليب والمهلهل أول من قال الشعر العربي

[3]- عنا: خضع

[4]- الأحقب: جمع حقبة أي فترة من الزمن

ولقد طبعت الثورة مسيرة الشعر الحديث في الجزائر، من خلال القضايا التي عكسها الشعر الجزائري في هذه المرحلة من تاريخ البلد والموضوعات التي تناولها. وكان الشعر نتاج مرحلة هامة من نهوض الحركة الوطنية عموماً، والحركة الإصلاحية خصوصاً، وثورة نوفمبر بالأخص، تفاعل معها وعبر عنها، تعبيراً حياً صادقاً، بود وإخلاص، فجسد جوانب مختلفة مما كان يتفاعل في المحيط من قضايا وانشغالات، وطموح وآمال، فكان بذلك نغماً جوهرياً في صوت الجزائر بوجهها العربي الإسلامي، وملامحها الإنسانية.

وانبثق الشعر في الجزائر في هذه المرحلة من صلب بيئة عربية إسلامية، شاهدا على مأساة الحياة الإنسانية تحت الاحتلال الفرنسي الذي جثم بكلكله على الجزائر قرنا واثنتين وثلاثين سنة 1830-1962م، فوجد الشاعر الجزائري نفسه منذ فجر فتوته في مواجهة المحنة العامة، استبداداً وظلماً وقهراً ومسخاً، يحاول به الاحتلال فعل كل شيء بالوطن، وفي المقدمة سلخه عن امتداده الطبيعي عربياً، وإسلامياً عموماً، لتجريده من انتمائه الحضاري، فينتهي الأمر بالشاعر من البداية إلى التموقع في خندق النضال الوطني، متحسساً آلام الأمة والوطن وآمالهما، كما اتسعت رؤاه وأفكاره لتحتضن قضايا الإنسانية في مختلف أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي وخارجه، تعيش في أعماقه أشواق مجنحة لرؤية الوطن العربي كله متحرراً متوحداً، قوياً عزيزاً ورؤية الأمة الإسلامية جمعاء تستعيد دورها التاريخي الحضاري، متكاتفة متآزرة. يقول الشيخ ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم	و إلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أم قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا[1] له	رام المُحالَ مِن الطلب

[1] الإدماج: هو اعتبار الجزائريين مواطنين فرنسيين وجَعْل الجزائر مجرد ولاية فرنسية

ويقول مفدي زكريا:

شربتُ العقيدة حتى الثُّمالة[1] فأسلمتُ وجهي لربِّ الجلاله
ولولا الوفاء لإسلامنا لَمَا قرر الشعب يوما مآله
ولولا استقامة أخلاقنا لَمَا أخلص الشعب يوما نضاله
ولولا تحالف شعب ورب لما حقق الرب يوما سؤاله
هو الدين يغمر أرواحنا بنور اليقين ويرسي عداله
إذا الشعب أخلف عهد الإله وخان العقيدة فارقب زواله

واحتل الشعر أيضا مكانة مرموقة بغزارة إنتاج الشعراء وتنوعه، وصدقهم في فنهم ومشاعرهم، صدقاً يعوض أحيانا عن جوانب فنية أخرى، لأنه لا زيف فيه ولا كذب بل هو من وحي القناعة والإيمان بالثوابت الوطنية والقومية والدينية والإنسانية، واستجابة لانفعال معين نحو قضية أو موقف أو فكرة أو شخصية أيضاً أو غيرها، منساقاً في كلّ الأحوال لقيم الخير والحرية والعدل والموّدة والمحبة والرحمة والتكافل والبذل، مّما عكسته القصائد والأناشيد الوطنية والإنسانية وغيرها في التعبير عن حدث أو فكرة، أو تصوير خاطرة أو سواهما، مما يعكس حقاً حقيقة المرحلة.

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

ولي قلمٌ آليت أن لا أمدّه بفتل مُوارٍ، أو بختْل مُوارِب[2]
جرى سابقا في الحقّ ظمآن عائفا لأمواهِ دُنياهُ الشِّرارِ الزَّغارب[3]
يسدّده عقل رَسَا فوق ربوة من العمر، روّاها معين التجارب
إذا ما اليراع الحرّ صرّ صريره نجا الباطل الهاري بمهجة هارب[4]
ومن سيّئات الدهر أخلاف فتنة وجودهم إحدى الرّزايا الكوارب
ومن قلمي انهلّت سحائب نقمة عليهم بوَدْقٍ من سمام العقارب[5]

---

[1] – حتى الثمالة: أي شربت كثيرا حتى لم يبق ما يشرب
[2] – موار: المواري هو الذي يقول ما لا يريد، والختل: الخداع، موارب: مخادع
[3] – لأمواه: الأمواه جمع ماء ومياه، الزغارب: الكثيرة الماء
[4] – اليراع: القلم، والصرير: صوت القلم على الورق إذا يكتب، الهاري: المنهار المتهدم
[5] – بودق: الودق هو المطر

فيا نفسُ لا يقعدْ بك العجزُ وانهضي بنصرة إخوان، وغوث أقارب
حرامٌ قعودُ الحرّ عن ذوْدِ مُعْتَدٍ رمى كلّ ذوْدٍ في البلاد بخارب[1]

فقد كان الشاعر في هذه الفترة من تاريخ الجزائر يهزه الحدث الكبير كما تطربه اللفتة الصغيرة، والصورة الجميلة، مثل الفكرة العابرة، والموقف الإنساني النبيل، والسلوك الجميل، بكل أبعاد ذلك وظلاله التي قد تتسع وتتنوع مشبعة بحس أخلاقي وروح وطنية وظلال صوفية أيضاً في بعض الحالات، يقول عبد الكريم العقون:

أنت سرّ الوجود يا صبح فانشر نورك المستفيض في الفلوات
استنارت بك الرّياض فأضحت تتغنّى مزهوة ثملات[2]
قد غزا جندك المظفّر واجتا ح جنود الغياهب الحالكات[3]
واكتسى الغاب حلّة نسجتها أنمُلُ الصبح من سنا الومضات[4]
والقرى قد تلحّفت بشعاع ذهبيّ الرّؤى جميل السّمات
وسرت في الرياض فرحة أنس أعلنتها الطّيور بالنغمات
وأرى البحر باسما حين تبدو مشرق الوجه واضح القَسَمات
كلّ من في الوجود يهتزّ شوقا لمُحَيّاك - يا جمال الحياة-[5]
وتغنّت لك الطيور نشاوى بنشيد موقّع النّبرات

إيه - يا صبح - أنت دنيا من الأطياف والسّحر والمنى المنعشات
تسحب الحزن والكآبة والهمّ، وتنسى فجائع الحادثات

ولقد كانت الحياة تبدو في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي كابوسا مقيما، فقد اجتث الاحتلال الفرنسي من النفوس كل بذور الأمل في الحياة الهانئة السعيدة، كما سدّ كل آفاق الثقة في الناس والأمل في المستقبل، يقول محمد

1- ذود الأولى في الشطر الأول من البيت معناها الصدّ والدفاع أي مقاتلة المعتدي. وذود في الشطر الثاني معناها الجماعة المدافعة عن الوطن أي المقاومون
2- ثملات: ج ثملة وهي السكرى من النشوة أو من الخمر
3- الغياهب الحالكات: الظلمات الشديدة السواد
4- أنمل: جمع أنملة وهي رؤوس الأصابع
5- لمحياك: المحيّا هو الوجه

العيد آل خليفة، وهو في العشرين من عمره، والإحساس البائس يجعله ضجرا من الحياة كأنه في الثمانين أو في التسعين من عمره:

سَلِمتُ وإن كنتُ ابنَ عشرينَ حِجةً أردد	حوادث لا تنفك مُستعرات[1]
طرفي سابرا كنه غورها	فيرجع طرفي خاسئ النظرات[2]
تبارك رب العرش لست بملحد	يحاول طمس الحق بالشبهات
ولكن وجداني ينمّ بحسرة	إلى القلب أو يوحي له بشكاة[3]

وكان الخلاص الجزئي من هذه الدوامة البغيضة، هو الانغماس في الحركة الوطنية في محيط بدأت الحركة الوطنية فيه تشهد حيوية مطردة، من أجل توظيف الكلمة الشعرية في سياق السعي إلى التحرر من نير الاحتلال. يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:

اشهدي يا سما	واكتبن يا وجود
إنّنا للحمى	سنكون الوجود
لنزيح البَلا	ونفك القيود
ولنشر الرضى	من وفى بالعهود
ونذيق الردى	كلّ عاتٍ كنود[4]
فيرى جيلنا	ذكريات الجدود
ويَرى قزمنا	خافقات البنود[5]
ويُرى نجمنا	للعلا في صعود
فنضمَ اسمنا	صفحات الخلود
هكذا هكذا	هكذا ستعود

فاشهدي يا سما	واكتبن يا وجود
إنّنا للعلا	إنّنا للخلود

---

[1] – حِجَة: سنة. مستعرات: مشتعلات.

[2] – سابرا: مختبرا. كنه: حقيقة. غورها: قعرها. خاسئ: خائب.

[3] – وجداني: نفسي. ينم: يُعَبِّر. الشكاة: الشكوى.

[4] – عات كنود: متجبر معاند.

[5] – خافقات البنود: الأعلام التي ترفرف

وكان شعر شعراء المرحلة مصدراً من مصادر المتاعب المتجلدة لهم، فأضحوا عرضة للتحقيق والاستنطاق والملاحقة والاستفزاز والسجن والإقامة الجبرية والتعذيب والقتل.

رغم ذلك مكّن شعراء الجزائر لدور الشعر نضاليا في حركة النهضة العربية الحديثة، وكان صوتهم متميزاً في مسيرة الحركة الشعرية العربية، وكان في الجزائر امتدادا لنضال الأمير عبد القادر الشعري.

فكان الشعر تعبيرا عن مختلف القضايا الوطنية والعربية- الإسلامية والإنسانية، والهموم الاجتماعية العامة، والخاصة أيضاً، حيث كان الشاعر ذا دور معتبر، وصلحب كلمة واعية، وذا ضمير وطني إنساني حيّ، كما كان الشعر سلاحاً قومياً فاعلاً لا إفرازات شخصية، والشاعر مجاهداً بإيمانه وفكره وموقفه وروحه في صمت الواثقين العاملين لا دجالاً انتهازياً مرتزقاً، يتاجر بالشعارات، وبالمواقف ويتلون مع كل وضع وظرف. يقول محمد اللقاني بن السائح:

بَنِي الجزائرِ هذا الموت يكفينا	لقد غُلّت بحبل الجهل أيدينا[1]
بني الجزائر هذا الفقر أفقدنا	كلّ اللّذائذ حينا يقتفى حينا
بني الجزائر هذا اللّهو أوقعنا	في بحر مهلكة عمّت نوادينا
بني الجزائر قوموا استيقظوا فلَكَمْ	أذاقنا اللّهو والإهمال تهوينا
بني الجزائر ما هذا التقاطع من	دون البرايا عيوب جمعت فينا
فقر وجهل وآلام ومسغبة	يا ربّ رحماك هذا القدر يكفينا[2]
فالجهل قاتلنا والفقر مهلكنا	واليأس خاذلنا واليأس مُرْدِينا[3]
مدّوا يديكم فها كفي لنتّحد	إنّ التفرّق يا للعار يؤذينا
هيّا نَؤُمُّ زُلالَ العلم نشربه	فالجهل يقتلنا والعلم يحيينا[4]

---

[1] - غُلّت: قُيِّدتْ

[2] - مسغبة: جوع.

[3] - مُرْدِينا: مُهْلِكُنا

[4] - نؤم: نقصد. زلال: الزلال هو الصافي الحلو المذاق

النّاس بـالعلم شـقّوا الأرض واخترقـوا وشـيّدوا وبنـوا عـزّا و تمكينـا
النّـاس بـالعلم نـالوا كـلّ مكرمـة ونحـن بالجهـل لا يرجـى تلاقينـا
كـلّ المسـائل أوهـام مخيّمـة فـالحلم يـشبعنا والـوهم يُرْدِينـا[1]
ألم نكـن أمّـة أعلـى الـورى حـسبا ألم نكـن أمّـة أزكـى الـورى دينـا[2]

ولم يخرج الشاعر الجزائري قط عن موروثه الحضاري العام، إيماناً صادقاً في القول وتعبيراً شعرياً عن قناعة وموقف وانفعل، في مرحلة كانت فيها وظيفة الشعر عربياً عموماً وجزائرياً خصوصاً، وظيفة نضالية في مسيرة الكفاح السياسي ثم العسكري من أجل الحرية والاستقلال والوحدة سياسياً، ومن أجل الرفاهية والتقدم اجتماعياً واقتصادياً وعلمياً.

وهنا يبدو للشعر دور فاعل بأثره واستقطابه، لما يتميز به من نغم قد يجنح الشاعر عبره إلى خيال بلا شواطئ ولا مرافئ مشدوداً لهمٍّ قومي عام، ومتطلعاً لحلم وطني لذيذ جميل ذي ألوان مختلفة، تشي بظلال لآمال عذبة ساحرة. تختصرها كلمات من نوع، حرية، سيادة، كرامة، إخاء، صدق، أخلاق، وفاء، وحدة وتطور وتقدم، وهو ما عانقه الشاعر الجزائري بود حميمي عبر كوكبة من القصائد والأناشيد بل والملاحم، فمكّن بفنه ونضاله لأهمية الكلمة الشعرية الصادقة ووظيفة الشعر في الأمة، يقول مفدي زكريا:

اعـصفي يـا ريـاح واقـصفي يـا رعـود
واثخـني يـا جـراح واحـدقي يـا قيـود[3]
نحـن قـوم أبـاة لـيس فينـا جبـان[4]
قـد سـئمنا الحيـاة في الـشقا والهـوان
لا نمـل الكفـاح لا نمـل الجهـاد

[1] - يردينا: يهلكنا
[2] - حسبا: الحسَب هنا هو المجد
[3] - اثخني: أي تعمّقي واكثري
[4] - أباة: جمع أبي وهو الذي لا يقبل الظلم

أدخلونــــا الـــسجون جرّعُونـــا المُنُـــون[1]
لـــيس فينـــا خَـــؤون ينـــثني أو يهـــون

لهذا وغيره تميز الشعراء الجزائريون في القرن العشرين، بوفرة شعرهم ذي الموضوعات الكثيرة المتعددة والقضايا المختلفة، وبنضاله وصدق لهجته، وإخلاصه لقضيته، وللقضايا التي تناولها والموضوعات التي كُتب فيها بالاختلاف في الأهمية بينها، يقول محمد العيد:

شـعب الجزائـر كلـه أبطالهـا مـن حـارث فيهـا ومـن همّـام
إن الجزائـر أصـبحت بجهادهـا تغـزو الـبلاد بـصيتها المترامـي
فاسـأل نـوفمبر عـن بنيهـا إنّـه أدرى بثـورتهم علـى الأورام
قـد دكّ فاتحـه المعاقـل فاتحـا فغـدا بـذلك غُـرّة الأيـام[2]

ولم تقدح غزارة المادة في جودة التعبير وسلاسة الأسلوب وقرب المأخذ وجزالة العبارة والوحدة العضوية والموضوعية للنص الشعري الذي جاء تعبيرا صادق العاطفة عن النضال وأشكال الطموح، وألوان انكسار أيضاً، فعكس في النهاية خاصة إبان الاحتلال الفرنسي ما اعتمل به المحيط العام، سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، كما عكس أيضاً شخصية الشاعر الجزائري ذات الرؤى الوطنية والقومية المتوثبة والروح الإسلامية الجياشة، والنفس المتشائمة أحيانا التي ضاقت ذرعا بالاحتلال تتلمس الطريق للخلاص فلا تجد محيدا عن إلهاب الحماس جاعلة من لحن الكلمة صنوا لرنة البارود.

يقول مفدي زكريا معبِّئا الشعب ومحفزا له بالكلمة الثائرة، ولم يصف أحد حقيقة المجاهدين كما وصفهم هو بقوله:

وأشْـرَبْتُه حُـبَّ الـشهادةِ فـارتمى علـى غَمَـراتِ المـوت تُلْهِبُـه الـذكرى

[1]– جرعونا المنون: أي اسقونا الموت

[2]– غُرّة الأيام: أول الأيام

وطالبْتُــــه بــــالمهْرِ أنْ رامَ عِـــزةً فأسـرع مــن أرواحــه يــدفع المَهــرا
ولقَّنْتُـــــه أن الجهـــــادَ عقيــــدةٌ طـوى الأزلُ العُلْـويُّ في صـدرها سِـرّا

ويشبه الثورة والمجاهدين بمجاهدي بدر فيقول :

وحَـدَّثنا عــن يــوم بــدرٍ محمــدٌ فقمنــا نــضاهي في جزائرنــا بــدرا

ويقـول محاربـا الجهـل بكـل أنواعـه داعيـا إلى العلـم بمفهومـه الواسـع كالتكنولوجيا واستخدام أسرار الطبيعة وقوانينها وتطويعها لخدمـة الإنسان، وكان يرى بأن العلم يجب أن يرتبط بالأخلاق العالية فيقول في إحدى قـصائده مخاطبا الطلبة الجزائريين في عام.

جنـدَ الـبلاد ويـا حمـاةَ عرينهـا[1] مــدوا لنــصرتها اليــدَ البيــضاءَ
واســتقبلوا العــصر الجديــد بنهــضة علميــــة، ودَعُــوا الــشكوك وراء
العلــم مفتــاح الحيــاة فمــن يحــد عــن سُــبْله فلقــد أراد فنــاء
لــو لم يكــن للعلــم أعظــم حرمــة مــا كــان علَّــمَ آدمَ الأســماءَ[2]
فــابنوا المــدارس في الــبلاد وهيئــوا لغــد رجــالا قــادة أكفــاء
ســيروا علــى سَــنَنِ الجــدود وشــيدوا فــوق المَجــرَّةِ للخلــود بنــاء[3]

ولما تحقق الاستقلال حطّم شعراء الثورة الكبار أقلامهم واعتزلـوا الحيـاة في صمت ورهبانية. يقول مفدي زكريا:

أنــا حَطَّمْــتُ مِزْهَــري[4] لا تَــسَلْني وسَــلَوتُ ابتــسامتي لا تَلُمْــني
مــذ تــراءى الــشقاق خِطْــتُ[5] كأســاتي علــى مَبْــسَمي، وأحرقــتُ دَنّــي
رأيــت الــسفين يجرفهــا الــيم لــسوء المــصير أغرقــت سُــفْني
مــذ رأيــت الغــصون يغــني بهــا البــوم تجافيتهــا وودعـــت غـــصني
ورأيـــت الــرؤوس طافــت بهــا حُمَّــى الكراســي، ونالهــا مَــسُّ جِــنّ
فــتخيرت في الرُّقَــى[6] (ســورةَ الإخــلاص) مــذ بــات غيرهــا لــيس يُغْــني

---

[1]-عرينها: العرين مسكن الأسد وهو هنا كناية عن الوطن
[2]-يشير إلى قوله تعالى {وعلّم آدم الأسماء كلها} سورة البقرة
[3]-سَنَن: طريق
[4]- مزهري: المزهر هو الآلة الموسيقية المعروفة باسم العود ويعني هنا أنه حطّم قلمه
[5]- خِطْتُ: فعل خاط يخيط من الخياطة. دنّي: الدن هو وعاء الخمر
[6]-الرقى: جمع رُقْية وهي ما يُقرأ من القرآن على المريض ونحوه من أجل الشفاء ونحو ذلك.

هذا، ويمكننا تقسيم إنتاج الشعراء الجزائريين في القرن العشرين إلى فترتين رئيسيتين:

الفترة الأولى: التي سبقت الثورة وتمتد على مدى يتجاوز نصف القرن أي منذ انطفاء آخر الثورات الكبيرة التي شهدها القرن التاسع عشر. والشعر في هذه الفترة يصف الخمود الذي عانى منه الحراك الجهادي، إذ انصرف أغلب الوطنيين إلى المقاومة السياسية والثقافية، وكاد الشعب يتردى إلى أسفل سافلين. ومن بين الشعراء الذين يصفون هذه المرحلة أصدق وصف: محمد اللقاني بن السائح، ورمضان حمود سليمان.

يقول السائح في حسرة وأسى:

قـومٌ يـرون المـنَّ[3] صـابا علقمـا	ويـرون طعـم الـصَّبر[4] أطيـب زاد
ويـرون عـار الجهـل أشـرف خطَّـة	يختـال في أثوابهـا المتهـادي
ويـرون جمـع المـال أكـبر رتبـة	مـن رتبـة التهـذيب والإرشـاد
جعلـوا التملـق للحيـاة وسـيلة	فاسـتعبدوا بالأهـل والأولاد[5]
وتقاعـدوا عـن نيـل أيَّ فـضيلة	وتقاعـسوا عـن رحمـة و وداد
لبـسوا شـعار الـذلّ طـول حيـاتهم	ويـسارع للكيـد والإفـساد
عبـدوا المزامـر واسـترقَّ رقـابَهم	نقـرُ الـدفوف ورنَّـة الإنـشاد
بـاعوا ببنـت الخـان فـضل عقـولهم	فبغـوا علـى الأرواح والأجـساد[6]
لم يعلمـوا علمـا صـحيحا أنَّ في	مـوت الـشعوب إهانـة الأفـراد
علمـتهم بـالعلم كـلَّ فـضيلة	ودعوتهـم مـن حاضـر أو بـاد

[1]- اليم: البحر

[2]-الكراسي: يعني بها هنا الوظائف والمناصب

[3]- المنّ: فاكهة مائعة تنعقد على بعض الأشجار عسلا وتجف جفاف الشمع. صابا: الصاب والعلقم هو مُرّ الطعم جدا.

[4]- الصبر: بكسر الباء وقد سكّنه هنا لضرورة الوزن هو نبات ذو طعم يتسم بالمرارة الشديدة. والزاد الطعام ونحوه مما يتزود به الإنسان.

[5]- التعلق: النفاق.

[6]- بنت الخان: الخمر.

ورأيــت أشـــباحا تقــلّ عمائمـا	ونظـــرت أجـــساما بـــدون فـــؤاد
فعلمــت أنّـــي مـــا ظفـــرت بطائـــل	ولغيـــر أحيـــاء ظللـــت أنـــادي
فيئـــست يـــأس مـــودّع الأمـــوات في	ضـــيق القبـــور وظلمـــة الألحـــاد[1]
ورفعـــت طـــرفي للـــذي فطـــر الـــسما	ومـــددت كفّـــي للـــرّحيم الهـــادي[2]
فامـــدد بـــروح منـــك يـــنهض شـــعبنا	مـــن غفلـــة أودعـــت بـــه و رقـــاد

ويقول رمضان حمود:

بكيـت علـى قـومي لـضعف نفوسهـم	علـى حمـل أثقـال العلـى والفـضائل
بكيـــت عليهـــم والحـــشا متقطّـــع	بكـائي علـى طفـل ضـعيف العزائـم
بكيـت عليهـم إذ رأيـت حياتهـم	مكـــدّرة مملـــوءة بالعجائـــب

وهذا الصنف من الشعر بقدر ما هو استنهاض للهمم ودعوة صريحة إلى الجهاد والقتال من أجل التحرير، فهو أيضا كان مقدمة للشعر الثوري الذي جادت به قرائح الشعراء إبان اندلاع الثورة وطيلة أيامها.

أما الفترة الثانية: فهي الحقبة التي تزامنت مع قيام ثورة أول نوفمبر. حيث صوّر الشعر في هذه الفترة ملامح الثورة ومواقفها وشخصياتها وأيامها المشهودة، فكان مرآة عكست واقع الجزائر طيلة أيام الثورة ورصدت كل آمال وآلام الشعب الجزائري.

وأبرز شعراء هذه الفترة: محمد العيد آل خليفة، مفدي زكريا.

وهناك أيضا تداخل بين الفترتين: تلك التي سبقت الثورة والفترة التي واكبت الثورة، ويتمثل ذلك في القصائد التي أبدعها الشعراء الجزائريون قبل قيام الثورة بسنوات عديدة وعندما ينظر القارئ إليها يُخَيّل إليه أنها من وحي الثورة. وخير مثال على هذا النوع نشيد خافقات البنود للشيخ عبد الحميد بن باديس.

---

[1]- الألحاد: جمع لحد وهو القبر.

[2]- طرفي: عيني.

النصوص وتراجم الشعراء

مفدي زكريا

بلبل الجزائر الصدّاح شاعر الثورة ذو الكلمات ذات الإيقاع الذهبي والوقع الناري. اسمه الكامل مفدي زكريا بن سليمان الشيخ صالح. ولد عام 1908 ببني يزقن.

التحق بالمحظرة لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الإسلامي، ولما بلغ السابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة للالتحاق بأبيه الذي كان يمارس التجارة هناك، فدخل المدرسة الابتدائية، وفي عام 1924 انتقل إلى تونس مع البعثة العلمية الميزابية، فدرس بمدرسة السلام القرآنية لمدة سنتين فأتقن جيدا اللغتين العربية والفرنسية كما اطلع على العلوم الحديثة، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية انتقل إلى المدرسة الخلدونية الحديثة فدرس الحساب والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ ليلتحق بعدها بجامع الزيتونة.

وعندما كان في تونس أقام في بيت عمه صالح بن يحيى أحد كبار المناضلين ضد الاستعمار الفرنسي في بلاد المغارب وأحد مؤسسي الحزب الدستوري التونسي الذي قاد الجهاد ضد الاستعمار. وبحكم إقامته في بيت عمه تعرف على زعماء كبار وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وكان الشاب مفدي زكريا يتابع أحاديث هؤلاء الزعماء حول هموم العالم الإسلامي والأخطار المحدقة به. ومنذ تلك الفترة عقد مفدي زكريا العزم على الجهاد ضد الاستعمار والجهل والتخلف فاكتسب روحا وطنية عميقة إلى جانب تدينه الشديد وأخلاقه العالية جدا.

وكان مفدي زكريا كثير المطالعة في كل المجالات، إلا أنه شديد الولع بدراسة حياة الأبطال وعظماء الأمم، فتأثر كثيرا بسيرة الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل الذي قاد النضال ضد الاستعمار البريطاني وهو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره والذي توفي في الرابعة والثلاثين من عمره، وقد قرأ مفدي زكريا عدة مرات كتابا عنه بعنوان «مصطفى كامل في 34 ربيعا». فأخذ الشاب مفدي زكريا عن هذا البطل الكبير مبدأ عدم الفصل بين الوطنية والدين.

نظم الشاب مفدي زكريا الشعر وهو في ريعان شبابه، فكلما تناول أساتذته موضوعا في القسم طلبوا منه أن يقول شعرا فيه فيرتجل بيتين أو أكثر من نظمه.

وأحب مفدي زكريا الصحافة، فأشرف على مجلة حائطية في المدرسة تسمى «الوفاق» كان يكتب مقالاتها ويخطها بيده ويوزعها بنفسه. فكان طاقة لا تنفد منذ صغره يتميز بالصبر والثبات والاستمرارية في العمل دون انقطاع والإيمان العميق بالوطن والدين.

عاد مفدي زكريا إلى الجزائر في نهاية العشرينات، فانخرط في حزب نجم شمال إفريقيا الذي كان يطالب باستقلال بلاد المغارب ثم تحقيق وحدتها، وكلما حلت السلطات الاستعمارية هذا الحزب كان يعود إلى الساحة السياسية تحت أسماء أخرى. وفي عام 1937 أصبح الحزب يسمى بـ «حزب الشعب الجزائري»، وتولى مفدي زكريا منصب الأمين العام للحزب أي الرجل الثاني فيه بعد رئيسه مصالي الحاج، وترأس أيضا هيئة تحرير صحيفة «الشعب» التي هي لسان الحزب بالعربية، فنشر فيها عدة مقالات لتوعية الشعب وكشف همجية الاستعمار والدعوة إلى استقلال البلاد وكان يجوب البلاد شرقا وغربا لنشر الفكرة الوطنية في صفوف الشعب، فكان يحاضر ويخطب ويكتب وينظم الأشعار والأناشيد التي تلهب الحماس.

ألقى الاستعمار القبض على مفدي زكريا في عام 1937 عندما كان يُلقي محاضرة بالبليدة في ليلة من ليالي رمضان عنوانها «الوطنية والدين» يدعو فيها

إلى الجهاد في سبيل الوطن والدين.

فوُضع البطل مفدي زكريا في سجن الحراش مع جمع من المجاهدين، إلاّ أنه لم يكف عن الجهاد فكان يصدر مع إخوانه من داخل السجن جريدة بعنوان «البرلمان الجزائري»، وكانت تصل إلى القراء بشتى الطرق والوسائل فتثير فيهم الهمة وحب الوطن والدين، وصار وجود مفدي زكريا داخل السجن أكثر خطورة على الاستعمار من وجوده حرا، فكان يرسل أناشيله من السجن ليتغنى بها الشعب وأشهرها نشيد «اعصفي يا رياح».

وقد أوعزت جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة المسلحة إلى المحكوم عليهم بالإعدام بترديد هذا النشيد عند مواجهتهم المقصلة.

وبعد خروجه من السجن واصل مفدي زكريا جهاده ضد الاستعمار في حزب الشعب الجزائري الذي غير اسمه إلى حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية، فتربى على يدي مفدي زكريا الكثير من الأبطال ومنهم العربي بن مهيدي وعبان رمضان وديدوش مراد...وغيرهم من الشباب الذين رضعوا على يديه مبادئ الوطنية والدين.

في عام 1953 نشبت أزمة داخل حزب حركة الانتصار اللجنة المركزية، ووقف المجاهد مفدي زكريا على الحياد لأنه لم يكن يريد أن يزيد الجراح عمقا مما يهدد مسيرة الحركة الوطنية التي ساهم في بنائها وضحى من أجلها بالدم والدموع لأكثر من ربع قرن.

فهذا موقف طبيعي من رجل يرفض التعصب الحزبي وأساليب السب والشتم بين مختلف الأحزاب والتيارات السياسية والفكرية.

وقد جاءه يوما مسؤول إحدى الصحف يطالبه بالمساهمة بمقالات ضد بعض الأشخاص الذين يخالفهم الرأي فرد عليه مفدي زكريا بالقول «إني أفضل أن تولي وجهك نحو الأبحاث الحيوية الحقة وأن تستخدم مواهبك الطيبة في النهوض بأمتك وتأسيس المعاهد العلمية والمدارس الحرة لتثقيف عقول أبنائها ومقاومة الأخطار الاجتماعية التي تهدد قوميتنا وديننا الإسلامي

المجيد...». هكذا كان مفدي زكريا يرفض استعمال الصحف والأحزاب والخطب في شتم الأشخاص والسخرية منهم ويفضل العمل الجاد والبناء والنقاش الفكري الرفيع الذي يقدم الأمم ولا يؤخرها.

ركز المجاهد مفدي زكريا كل جهوده على طرد الاستعمار الفرنسي وإصلاح الأمة بتغيير الفرد. ولتحقيق ذلك أسس جريدة الحياة وكتب يقول عنها« إن شعارها الإخلاص في العمل الديني والسعي لصالح الوطن، رائدها الصدق ودعامتها التفكير الحر والعلم الصحيح، حزبها الحق، ومبدؤها الصراحة »، وكانت هذه هي مبادئ عمله طيلة حياته.

وحارب مفدي زكريا بشعره ومقالاته الجهل بكل أنواعه ودعا إلى العلم بمفهومه الواسع كالتكنولوجيا واستخدام أسرار الطبيعة وقوانينها وتطويعها لخدمة الإنسان وكان يرى بأن العلم يجب أن يرتبط بالأخلاق العالية.

وفضح مفدي زكريا محاولات الاستعمار الدنيئة لتفرقة هذا الشعب عملا بسياسة « فرق تسد»، واعتبر كل من يساهم في تفرقة الشعب ولو بكلمة واحدة عدوا للأمة الجزائرية، وفي عام 1936 أسس مفدي زكريا «جمعية التوحيد»، ودعا الشيخ الطيب العقبي لرئاستها، وكان هدفها تحطيم كل محاولات التفريق بين أبناء الشعب الواحد فقال في رسالة للطيب العقبي نشرت في جريدة البصائر.«... وكان حتما عليه (أي الشعب الجزائري) ولزاما في نهضته أن يَنْفِرَ مجموعَ الأجزاء، ملتئمَ الشعب، قوي البنية، ليستطيع الثبات أمام الأعاصير والزعازع الاستعمارية التي تنتظره في الميدان العصيب سيما وقد قام الدليل على بطلان كل نهضة تدس في بنائها العام الفوارق، وتنشر بين صفوفها أوبئة الشيع والطوائف...».

وهكذا كان مفدي زكريا عدوا للاستعمار والجهل المتزمتين المتحجرين باسم الدين والدين منهم بريء، وفضح كل من حاول التمييز بين أفراد الشعب الجزائري الواحد والتفرقة بينهم على أساس عرقي أو ديني أو طائفي.

فرح مفدي زكريا كثيرا باندلاع الثورة المسلحة على أيدي شباب تعلموا

على يديه معنى الوطنية والتضحية في سبيل الوطن والدين، إلا أنه تألم كثيرا لأن قيادة الثورة لم تسمح له بالالتحاق بالجبل بسبب كبره في السن، إلا أنه أرسل ابنه سليمان ليكون جنديا بسيطا في الجبل. وواصل مفدي جهاده الثوري بتعبئة الشعب وتحفيزه بالكلمة الثائرة.

وفي عام 1955 طلب منه عبان رمضان وضع نشيد رسمي للثورة والوطن، فوضع نشيد «قسما» الذي لحنه الموسيقار المصري محمد فوزي ليصبح النشيد الوطني الرسمي الذي يهز القلوب ويشحذ الهمم أثناء الثورة وبعد الاستقلال، والذي يجب أن يردده كل فرد من أفراد الأمة الجزائرية.

ألقى البوليس الاستعماري القبض على مفدي زكريا في عام 1956 وأودعه سجن بربروس ثم البرواقية فالحراش.

وتعرض مفدي زكريا في السجن إلى أشد العذاب، كالتعذيب بالتسليط المستمر للأضواء الكاشفة على عينيه ليلا ونهارا لأكثر من ثلاث سنوات مما جعله يشكو من آلام حادة ودائمة في عينيه وصداع ملازم له وانهيار في الأعصاب طول حياته، فخشي الاستعمار أن يموت الشيخ المجاهد مفدي زكريا في السجن تحت التعذيب مما يثير فضيحة عالمية، فاضطر إلى إطلاق سراحه بعد ما تأكد من أنه لا يستطيع فعل شيء ضده لأنه موهن الجسد والعقل.

وعندما خرج مفدي زكريا من السجن في عام 1959 هربته الثورة إلى المغرب الأقصى ليعالج في الخارج، وواصل الجهاد بالكلمة، فتحول إلى سفير للجزائر في العواصم العالمية يُسمِع صوتَها عاليا ويُعرِّف بقضية الشعب ويكسبها الدعم المادي والمعنوي، فزار أغلب البلاد العربية والتقى بكبار الأدباء كطه حسين وعباس محمود العقاد ولُحنت قصائده من كبار الملحنين كمحمد فوزي وكمال الطويل، وغناها أكبر المطربين والمطربات كوردة الجزائرية وفايزة احمد وفايدة كامل، وكانت أغلى أمنيات المطربة الكبيرة أم كلثوم أن تغني قصائد شاعرنا الكبير مفدي زكريا. ولم تخل جريدة من أحاديث عن صوت الثورة وشاعرها مفدي زكريا، وكانت تنشر قصائده وأناشيده التي تهز النفوس

ونشرت دور النشر ديوانه «اللهب المقدس» الذي يحتوي عدة قصائد وأشعار عن الجزائر وثورتها.

عاد مفدي زكريا إلى أرض الوطن بعد الاستقلال، وشارك الشعب أفراحه، إلا أنه اعتزل السياسة نهائيا بسبب تذمره من الصراع على السلطة.

وركز جهوده كلها على نضال جديد يتمثل في العمل من أجل تحقيق وحدة بلاد المغارب، فنجله تارة في تونس وتارة أخرى في المغرب الأقصى وتارة في الجزائر، ونشر عدة دواوين شعرية ومنها « تحت ظلال الزيتون» وهي قصائد خصها لتونس، وديوان « من وحي الأطلس» خصه للمغرب الأقصى، وفكر في وضع « إلياذة المغرب العربي » يصور فيها وحدة تاريخ ونضال شعوب المغرب العربي مما يستدعي تحقيق وحدته كما سطرها حزب نجم شمال إفريقيا الذي ناضل فيه مفدي زكريا لكن لم يسعفه الأجل لوضع هذه الإلياذة.

وتُعتبر إلياذة الجزائر أهم أعمال مفدي زكريا على الإطلاق وقد وضعها بطلب من وزير الشؤون الدينية آنذاك مولود قاسم نايت بلقاسم بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال وألقاها لأول مرة في ملتقى الفكر الإسلامي السادس الذي انعقد بالجزائر العاصمة سنة 1972.

توفي المجاهد وشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في الثالث من رمضان من عام 1397هـ بتونس بعد سكتة قلبية. وكان في لقاء حميمي مع بعض المجاهدين القدامى في حزب الشعب الجزائري وأثناء الثورة. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بوادي ميزاب مغطى بالعلم الوطني ووري التراب هناك، وشارك في جنازته جموع غفيرة من أبناء الشعب جاءت لتودع شاعرها، كما شارك في تشييع جنازته شخصيات سياسية ودينية وأدبية كبيرة جاءت من الجزائر وبلدان أخرى من الوطن العربي.

وودع مفدي زكريا الحياة دون أن يرى حلمه المتمثل في مغرب عربي موحد ولم ير إلا استقلال بلدانه عن الاستعمار. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

أحمد زبانة: الذبيح الصاعد

قــامَ يَخْتَــال كالمــسيح وَئِيــدا يَتَهــادَى نَــشْوانَ يَتْلُــو النــشيدا[1]
باسِــمَ الثَّغْــرِ كالمَلائــكِ أو كالطِّـــفْلِ يَــستقبلُ الــصباحَ الجديــدا[2]
شــامخا أنفــه جــلالا وتِيهًــا رافعــا رأسَــه ينــاجي الخلــودا[3]
رافِــلا في خَلاخِــل زغــردتْ تمـــلأ مِــن لَحْنِهــا الفــضاءَ البعيــدا[4]
حالِمًــا كــالكَلِيمِ كَلَّمَــهُ المَجْـــدُ فــشَدَّ الحِبــالَ يَبْغــي الــصعودا[5]
وتــسامى كــالروح في ليلــة القَـــدْرِ ســلاما يــشع في الكــون عيــدا
وامتطــى مــذبح البطولــة معراجــا ووافــى الــسماء يرجــو المزيــدا[6]
وتعــالى مثــل المــؤذن يتلــو كلمــاتِ الهــدى ويــدعو الرقــودا[7]
صــرخةٌ تَرْجــفُ العــوالمُ منهــا ونــداءٌ مَــضى يهــز الوجــودا
((اشــنقوني فلــستُ أخــشى حبــالا واصــلبوني فلــست أخــشى حديــدا))
((وامتثــلْ ســافِرا مُحَيَّــاكَ جَـــلَّادي ولا تَلْتَــثِمْ فلــستُ حقــودا))[8]
((واقْــضِ يــا مــوتُ فِيَّ مــا أنــتَ قــاضٍ أنــا راضٍ إنْ عــاش شــعبي ســعيدا))
((أنــا إنْ مــتُّ فــالجزائرُ تَحْيَــى حــرةً مــستقلة لــن تَبيــدا))[9]
قولــةٌ ردَّد الزمــان صــداها قدُسِــياً، فأحــسنَ الترديــدا[10]
احفظوهــا، زكيــةً كالمثــاني وانقلوهــا، للجيــل، ذكــراً مجيــدا[1]
وأقيمــوا، مــن شــرعها صــلواتٍ، طيبــاتٍ، ولقنوهــا الوليــدا
زعمــوا قتلَــه...ومــا صــلبوه، لــيس في الخالــدين، عيــسى الوحيــدا!

---

[1] – يختال: يخطو بفخر. وئيدا: بطيئا. يتهادى: يتمايل. نشوان: مفتخرا جدا.
[2] – الثغر: الفم
[3] – تيها: التيه: الفخر والخيلاء. يناجي: يكلِّم سِرًّا.
[4] – رافلا: لابسا
[5] – الكليم: موسى عليه السلام
[6] – امتطى: رَكِبَ. معراجا: صعودا. وافى: وصل.
[7] – الرقود: الراقدين النائمين.
[8] –سافرا: كاشفا. محياك: وجهك.
[9] – لن تبيدا: لن تختفي.
[10] – صداها: الصدى هو رجْعُ الصوت.

لَفَّـهُ جبرائيـلُ تحـت جناحيـــــــــه إلى المنتهـى رَضِـيًّا شـهيدا
وسَـرَى في فـم الزمـان٭٭زبانـا ٭٭ مَثَلًـا في فـم الزمـان شَـرُودا[2]
يـا٭٭زبانـا٭٭ أَبْلـغْ رفاقَـكَ عَنَّـا في الـسماوات قـد حفظنـا العهـودا
وارْوِ عـن ثـورة الجزائـر للأفـــــــــلاك والكائنـاتِ ذِكْـرًا مَجِيـدا
ثـورةً، لم تكـن لبغـي، وظلـم في بـلاد، ثـارت تفُـكُّ القيـودا
ثـورةً، تمـلأُ العـوالمَ رعبـاً وجهـادٌ، يـذرو الطغـاةَ حـصيدا
كـم أتينـا مـن الخـوارق فيهـا وبهرنـا، بـالمعجزات الوجـودا
وانـدفعنا مثـلَ الكواسـر نرتـا دُ المنايـا، ونلتقـي البـارودا[3]
مـن جبـال رهيبـة، شـامخات، قـد رفعنـا عـن ذُراهـا البنـودا[4]
وشـعاب، ممنَّعـات براهـا مُبـدعُ الكـون، للـوغى أُخـدودا[5]
وجيـوشٍ، مـضت، يـد الله تُـزْ جيهـا، وتَحمـي لواءَهـا المعقـودا[6]
مـن كهـولٍ، يقودهـا المـوت للنـصر، فتفتـكُ نـصرها الموعـودا
وشـبابٍ، مثـل النـسورِ، تَرامـى لا يبـالي بروحـه، أن يجـودا
وشـيوخٍ، محـنَّكين، كـرام مُلِّئـت حكمـةً ورأيـاً سـديدا
وصـبايا مخـدَّراتٍ تبـارى كـاللَّبوءات، تـستفز الجنـودا[7]
شـاركتْ في الجهـاد آدمَ حـوا ءُ ومـدّت معاصـما وزنـودا
أعملـت في الجـراح، أنملَهـا اللَّـدنَ، وفي الحـرب غُـصنَها الأُملـودا[8]
فمـضى الـشعب، بالجمـاجم يـبني أمـةً حـرة، وعـزاً وطيـدا
مـن دمـاءٍ، زكيـة، صـبَّها الأحـــرارُ في مـصْرَفِ البقـاء رصيدا
ونظـامٍ تخطُّـه ((ثـورة التحـــرير)) كـالوحي، مـستقيماً رشـيدا

---

[1]– المثاني: القرآن.

[2]– مثلا شرودا: أي يردده الناس جيلا بعد جيل.

[3]– الكواسر: الطيور الجارحة كالصقر والنسر.

[4]– البنود: الرايات.

[5]– براها: خلقها.

[6]– تزجيها: تدفعها. لواءها: اللواء هو الراية.

[7]– اللبوءات: جمع لبؤة وهي أنثى الأسد.

[8]– أنملها: الأنمل هو رأس الإصبع. اللدن: الرخو الأملس. الأملود: الناعم الأملس.

وإذا الشعب داهمته الرزايا، هبّ مستصرخا، وعاف الركودا

وإذا الشعب غازلته الأماني، هام في نيْلها، يدكّ السدودا

دولة الظلم للزوال، إذا ما أصبح الحرّ للطغام[1] مسودا!

ليس في الأرض سادة وعبيد كيف نرضى بأن نعيش عبيدا؟!

أمِنَ العدل، صاحب الدار يشقى ودخيل بها، يعيش سعيدا؟!

أمِنَ العدل، صاحبُ الدار يَعرى، وغريبٌ يحتلُّ قصرا مشيدا؟

ويجوعُ ابنها، فيعْدمُ قوتاً وينالُ الدخيل عيشا رغيدا؟؟

ويبيح المستعمرون حماها ويظل ابنُها، طريدا شريدا؟؟

يا ضَلال المستضعَفين، إذا هم ألفوا الذل، واستطابوا القعودا !!

ليس في الأرض، بقعة لذليل لعنته السما، فعاش طريدا...

يا سماء، اصعَقي الجبانَ، ويا أر ض ابلعي، القانع، الخنوعَ، البليدا

يا فرنسا، كفى خداعا فإنّا يا فرنسا، لقد مللنا الوعودا

صرخ الشعب منذراً، فتصا مَمْتِ، وأبديت جفوة وصدودا

سكت الناطقون، وانطلق الرشاش، يلقي إليكِ قولاً مفيدا:

نحن ثرنا، فلاتَ حين رجوعٍ أو ننالَ استقلالَنا المنشودا

يا فرنسا امطري حديداً ونارا واملئي الأرض والسماء جنودا

واضرميها عرْض البلاد شعاليلَ، فتغدو لها الضعاف وقودا

واستشيطي على العروبة غيظاً واملئي الشرق والهلال وعيدا

سوف لا يعدَمُ الهلال صلاحَ الدين، فاستصرخي الصليب الحقودا

واحشُري في غياهب السجن شعبا سِيمَ خسفاً، فعاد شعبا عنيدا

واجعلي "بربروس" مثوى الضحايا إن في بربروس مجداً تليدا !!

واربطي، في خياشم الفلك الدوّ ار حبلاً، وأوثقي منه جيدا

عطلي سُنّة الإله كما عطّلتِ من قبلُ "هوشمينَ"[2] المَريدا...

إن من يُهمل الدروس، وينسى ضرباتِ الزمان، لن يستفيدا...

نسيَت درسَها فرنسا، فلقنّا فرنسا بالحرب، درساً جديداً!

---

[1] – الطغام: أحقر الناس.

[2] – هوشمين: هو البطل الفيتنامي هو شي منه. المريد: المتمرد.

وجعلنـــا لجنـــدها "دار لقمـــا ن" قبوراً، مـلءَ الثرى ولحـودا !

يـــا "زبانـــا" ويـــا رفـــاق "زبانـــا" عـــشتمُ كـــالوجود، دهـــراً مديـــدا

كـــل مـــن في الـــبلاد أضـــحى "زبانـــا" وتمنـــى بـــأن يمـــوت "شـــهيدا!!"

أنـــتم يـــا رفـــاقُ، قربـــانُ شـــعب كـنـتم البعـثَ فيـــه والتجديـــدا !!

فاقبلوهـــا ابتهالـــةً، صـــنع الرشـــــــاشُ أوزانهَـــا، فـــصارت قـــصيدا!!

واســـتريحوا، إلى جـــوارِ كـــريمٍ واطمئنـــوا، فإننـــا لـــن نحيـــدا!!

مناسبة النص: هي في رثاء الشهيد أحمد زهانة أول من نفذ في حقه حكم الإعدام بعد قيام ثورة أول نوفمبر.

ولد الشهيد أحمد زهانة المدعو خلال الثورة أحمد زبانة في عام 1926 بالقصر" زهانة" حاليا، ومنها انتقل مع عائلته إلى مدينة وهران بحي الحمري. نشأ وسط عائلة متكونة من ثمانية أطفال هو الرابع بين إخوته، دخل المدرسة الابتدائية، إلى أن تحصل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية . ولما كان تجاوز هذا المستوى الدراسي غير مسموح به للجزائريين فقد طرد من المدرسة . بعد طرده التحق بمركز التكوين المهني حيث تخرج منه بحرفة لحام.

كان لانضمام أحمد زبانة للكشافة الإسلامية دور في نمو الروح الوطنية الصادقة في نفسه، زيادة على شعوره بما كان يعانيه أبناء وطنه من قهر وظلم واحتقار. هذه العوامل كانت وراء انضمامه لصفوف الحركة الوطنية عام 1941 وتطوع زبانة لنشر مبادئ الحركة وتعميق أفكارها في الوسط الشبابي وفضح جرائم الاستعمار الفرنسي . وبعد أن أثبت بحق أهليته في الميدان العملي وبرهن على مدى شجاعته وصلابته اختارته المنظمة السرية (الجناح العسكري) ليكون عضوا من أعضائها وبفضل خبرته تمكن من تكوين خلايا للمنظمة بالنواحي التي كان يشرف عليها . وقد شارك الشهيد في عملية البريد بوهران عام 1950، وازداد نشاط الشهيد السياسي وتحركاته مما أثار انتباه السلطات الاستعمارية التي لم تتوان في إلقاء القبض عليه وتقديمه للمحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات وبالنفي من المدينة لمدة ثلاث سنوات

أخرى قضاها ما بين معسكر ومستغانم والقصر.

بعد حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 1954/7/5، عين الشهيد من قبل الشهيد العربي بن مهيدي مسؤولا على ناحية زهانة وكلفه بالإعداد للثورة بما يلزمها من ذخيرة ورجال . وتجسيدا للأوامر التي أعطيت له كان اجتماع زهانة الذي جمعه بالشهيد عبد المالك رمضان، وقد حددت مهام زبانة بعد هذا الاجتماع في هيكلة الأفواج وتدريبها واختيار العناصر المناسبة وتحميلها مسؤولية قيادة الرجال وزيارة المواقع الإستراتيجية لاختيار الأماكن التي يمكن جعلها مراكز للثورة . وأفلح الشهيد في تكوين أفواج كل من زهانة، وهران، تموشنت، حمام بوحجر، حاسي الغلة، شعبة اللحم، السيق. وكلف هذه الأفواج بجمع الاشتراكات لشراء الذخيرة والأسلحة. وأشرف بمعية الشهيد عبد المالك رمضان على عمليات التدريب العسكري وكيفيات نصب الكمائن وشن الهجومات وصناعة القنابل. في الاجتماع الذي ترأسه الشهيد العربي بن مهيدي بتاريخ 30أكتوبر 1954 تم تحديد تاريخ اندلاع الثورة بالضبط وتحديد الأهداف التي يجب مهاجمتها ليلة أول نوفمبر .وفي 31 أكتوبر 1954، عقد الشهيد اجتماعا بأفواجه تم خلاله توزيع المهام وتحديد الأهداف وتحديد نقطة اللقاء بجبل القعدة.

بعد تنفيذ العمليات الهجومية على الأهداف الفرنسية المتفق عليها، اجتمع الشهيد مع قادة وأعضاء الأفواج المكلفة بتنفيذ العمليات لتقييمها والتخطيط فيما يجب القيام به في المراحل المقبلة. ومن العمليات الناجحة التي قادها الشهيد عملية لاماردو في 1954/11/4، ومعركة غار بوجليلة في 54/11/8 التي وقع فيها أحمد زبانة أسيرا بعد أن أصيب برصاصتين.

نقل الشهيد إلى المستشفى العسكري بوهران ومنه إلى السجن، وفي 21 أبريل 1955 قدم للمحكمة العسكرية بوهران فحكمت عليه بالإعدام . وفي 3 ماي 1955 نقل الشهيد إلى سجن برباروس بالجزائر وقدم للمرة الثانية

للمحكمة لتثبيت الحكم السابق الصادر عن محكمة وهران. ومن سجن برباروس نقل الشهيد إلى سجن سركاجي.

وفي يوم 19 جوان 1956 في حدود الساعة الرابعة صباحا أخذ الشهيد من زنزانته وسيق نحو المقصلة وهو يردد بصوت عال:" إنني مسرور جدا أن أكون أول جزائري يصعد المقصلة، بوجودنا أو بغيرنا تعيش الجزائر حرة مستقلة". ثم كلف محاميه بتبليغ رسالته إلى أمه . وكان لهذه العملية صداها الواسع على المستوى الداخلي والخارجي، فعلى المستوى الخارجي أبرزت الصحف، صفحاتها الأولى صورة الشهيد وتعاليق وافية حول حياته . أما داخليا فقد قام في اليوم الموالي أي 1956/6/20 جماعة من المجاهدين بناحية الغرب بعمليات فدائية جريئة كان من نتائجها قتل سبعة وأربعين عميلا وإعدام سجينين فرنسيين.

وهذا نص رسالة الشهيد: "أقاربي الأعزاء، أمي العزيزة أكتب إليكم ولست أدري أتكون هذه الرسالة هي الأخيرة، والله وحده أعلم. فإن أصابتني مصيبة كيفما كانت فلا تيأسوا من رحمة الله. إنما الموت في سبيل الله حياة لا نهاية لها، والموت في سبيل الوطن إلا واجب، وقد أديتم واجبكم حيث ضحيتم بأعز مخلوق لكم، فلا تبكوني بل افتخروا بي. وفي الختام تقبلوا تحية ابن وأخ كان دائما يحبكم وكنتم دائما تحبونه، ولعلها آخر تحية مني إليكم، وإني أقدمها إليك يا أمي وإليك يا أبي وإلى نورة والهواري وحليمة والحبيب وفاطمة وخيرة وصالح ودينية وإليك يا أخي العزيز عبد القادر وإلى جميع من يشارككم في أحزانكم".

ثورة الشرفاء

مددنا خيوط الفجر .. قُمْ نصنع الفجرا ... وصُغْنا كتاب البعث .. قُمْ ننشر السِّفْرا[1]

ودُسنا غرور الدهر في كبريائه ... فصعّر خدًّا وانثنى يطلبُ العُذْرا[2]

وخضنا تصاريف الزمان، نروضها ... ونصدعُ بالإعجاز أحداثها السَّكرى

وشُقْنا سفين الوعد خفرًا شراعها ... يوجّهها للنصر، مَنْ وعَدَ النَّصْرا

ورثنا عصا موسى، فجدّد صُنعها ... حجانا، فراحتْ تلقفُ النار لا السِّحْرا[3]

وكلّم موسى اللهَ في الطُّور خُفْيةً ... وفي الأطلس الجبّار كلّمنا جهْرا[4]

وأنطق عيسى الإنس، بعد وفاتهمْ ... فألهمنا في الحرب- أنْ ننطقَ الصَّخْرا

وحدّثنا عن يوم بدرٍ محمّدٌ ... فقمْنا نضاهي في جزائرنا بدرا

عبرْنا على السّبعِ الشّدادِ نشقُّها ... ولم تثْنِنا الأرزاءُ، أنْ نعْبُرَ العشْرا

ونفرض في الدنيا احترامَ وجودنا ... وننشُر في أحلافها الرُّعْبَ و الذُّعْرا

ونحن بنو الأشراف عُرْبٌ، طباعُنا ... مُقدّسةٌ، لا تُضمِرُ الغشَّ و الغدْرا

تباركْتَ شهْرًا بالخوارق طافحًا ... وسُبْحانَ مَن بالشعبِ، في ليْلهِ أسْرى

فكمْ كنتُ يا رحمنُ، في الشك غارقا ... فآمنتُ بالرحمن، في الثورة الكبرى

ولبّاكِ شعبٌ، كاد يَفقدُ ظنّه ... بوعدك لولا أنه يحفظ الذِّكْرا

وأشربْتِه حُبَّ الشهادةِ فارْتمى ... على غمَراتِ الموتِ تُلْهبُهُ الذِّكْرى

وفي ساحة التحرير سُوقٌ، قِوامُها ... ضمائرُ قومٍ لا تُباع ولا تُشرى

فلا عِزَّ حتى تستقلَّ جزائرٌ.. ... ولا مجدَ حتى نصنعَ الوحدةَ الكبرى

ولا مجدَ حتى نصنعَ الوحدةَ الكبرى

مناسبة النص: هي في تمجيد ثورة نوفمبر" الثورة الكبرى المباركة".

يبدو الشاعر مفعما بحماس كبير، وهو يجرِّد من نفسه شخصا آخر يخاطبه ويأمره بالصنع والنشر، ويشير في البيت الثاني إلى مقولة يعزوها النصارى

---

[1] - السِّفر: الكتاب

[2] - دُسنا: وطئنا بأقدامنا. صعّر: أمالَ.

[3] - حجانا: الحجا هو العقل.

[4] - الطور: جبل في صحراء سيناء كلّم الله عنده موسى عليه السلام

للمسيح مفادها أن من صفعك على خدك الأيمن فأدِرْ له خدَّك الأيسر، ملمِّحًا إلى أن الثورة قد وجهت صفعة قوية لفرنسا المسيحية. والصَّعَرُ داء يصيب الإبل فيُميل أعناقها. ثم يجعل الشاعر على سبيل الاستعارة من تصاريف الدهر بحرا مخرتْ عُبَابَهُ سفينة الثورة ذات الأشرعة الحمراء كناية عن أنها مخضبة بدماء الشهداء وقود الثورة كما أن الأشرعة هي التي تدفع السفينة إلى الأمام، وهي موعودة بالنصر والرسوّ على بر الأمان، وهذا تلميح إلى الآية الكريمة {إن تنصروا الله ينصركم} فهذا وعد بالنصر من رب النصر.

ويوظف الشاعر في الأبيات الأربعة التالية رموزا مقدسة في منحى يرمي إلى القول بأن هذه الأمه إنما هي امتداد لرعيلها الأول المتمثل في أولي العزم من الرسل: موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم.

ويربط بين بعض الرموز المقدسة كالطور وبين معالم مشهورة في بلاده كالأطلس، إمعانا في تمثّل وتكريس الامتداد.

ثم يصل الشاعر إلى شهر نوفمبر بعد تدرّج عجيب في التمهيد لذلك، فيؤرخ للثورة بأنها انطلقت فيه وأنها أول ما انطلقت كانت ليلا، ويعلن أنه لولاها لظل في غياهب الشك مَثَلُه في ذلك مثَلُ الشعب الذي لبّى وتبددت ظنونه لأنه متمسك بالقرآن {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}.

ولقد سقتْ الثورةُ أبناءَها ترياقَ الشهادة كما روّوها بدمائهم الطاهرة الزكية التي تجود بها ضمائر لا تعرض في سوق النخاسة، بل لن تستكين حتى ترى عزها واقعا، ولن يكون ذلك إلا باستقلال الجزائر ثم بالوحدة الكبرى. ويقصد هنا الوحدة المغاربية التي ظل من دعاتها حتى آخر لحظة، وكان قد اعتنق فكرتها منذ انضمامه لحزب نجم شمالي إفريقيا، ثم هو يذكِّر بها قادة ثورة نوفمبر الذين جعلوها من أول ما استفتحوا به بيان أول نوفمبر.

نشيد قسما

قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات[1]
نحن ثرنا، فحياةٌ أو مماتْ وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...

نحن جند، في سبيل الحق ثرنا وإلى استقلالنا، بالحرب قمنا
لم يكن يصغى لنا، لما نطقنا فاتخذنا، رنة البارود وزنا
وعزفنا، نغمة الرشاش لحنا وعقدنا العزم، أن تحيا الجزائر

فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب وطويناه كما يُطوى الكتاب[2]
يا فرنسا إن ذا يوم الحساب فاستعدي وخذي منا الجواب
إن في ثورتنا فصلَ الخطاب وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...

نحن من أبطالنا ندفع جندا وعلى أشلائنا نصنع مجدا[3]
وعلى أرواحنا نصعد خُلدا وعلى هاماتنا، نرفع بندا[4]
جبهة التحرير أعطيناك عهدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...

صرخة الأوطان من ساح الفدا فاسمعوها، واستجيبوا للندا
واكتبوها بدماء الشهدا واقرأوها لبني الجيل غدا
قد مددنا لك يا مجد يدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...

مناسبة النص: نُظِمَ بتاريخ 25 إبريل 1955، بسجن بربروس بالجزائر العاصمة في الزنزانة رقم 69. وكان عبان رمضان قد طلب إلى الشاعر أن ينظم نشيدا يكون هو النشيد الوطني للثورة وللوطن. وقد لحّن النشيدَ الموسيقار المصري الكبير محمد فوزي.

---

[1] – البنود: الرايات
[2] – العتاب: اللوم
[3] – أشلائنا: الأشلاء هي أجزاء الجسد
[4] – خلدا: الخلد هي الجنة. هاماتنا: الهامات جمع هامة وهي الرأس. بندا: البند الراية

نشيد العلـم

هيـــا ... هيـــا قفـــوا وارفعـــوا العلـــم..

وانـــشدوا، واهتفـــوا واعزفـــوا الـــنغم..

اقـــصفوا المـــدافع تـــسمع الأمـــم..

رسالة العلـم :

أشرق رفيعا في الحمى واخفق عزيزا مكرما وارشق على نهر الدما

سلـما... للسّما... يا علم...

علـم الجزائر... عشت يا علـم

أنت وحي الشهدا.... أنت يا علـم

أنت للجيل غدا.... صلة الرحم

احك للبرايا وارو يا علـم

حكاية العلـم

أبيضه : أخلاقنا أخضره : أوطاننا أحمره : دماؤنا

عروقنا... من نسيج العلم

علـم الجزائر... دمت يا علـم

أمة، شعارها المجد والكرم

ثورة، أحرارها.... طاهرو الذمم

ثابتو العزائم صادقو الهمم

في ثورة العلـم

كفاحنا، نضالنا، جهادنا، استقلالنا، أرواحنا، أموالنا...

أكبادنا.... في سبيل العلـم

... عشت يا علـم ...علـم الجزائر

مناسبة النص: كتبه الشاعر بدمه في الزنزانة وأهداه للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

نشيد الشهيد

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود
واثخني يا جراح واحدقي يا قيود
نحن قوم أباة ليس فينا جبان
قد سئمنا الحياة في الشقا والهوان
لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد
في سبيل البلاد
أدخلونا السجون جرّعونا المنُونْ
ليس فينا خَؤون ينثني أو يهون

اجلدوا... عذبوا ...
واشنقوا... واصلبوا...
واحرقوا ... واخربوا ...
نحن لا نرهب ..
لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد
في سبيل البلاد...كلنا للعلا كلنا للرهان
نحن نَسْلُ الألى شيَّدوا القيروان
نحن نفدي الجزائر
بالنفوس والدما
شعبنا عش وفاخر
وارفع العلما
لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد
في سبيل البلاد...

مناسبة النص: نظمه الشاعر سنة 1937 وهو في السجن آنذاك في الزنزانة رقم 65 في سجن بربروس. وفي 29 نوفمبر 1956 صدر الأمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود للمقصلة.

نشيد الطلبة

نحن طلاب الجزائر   نحن للمجد بناة

نحن أمل الجزائر   في الليالي الحالكات

كم غرقنا في دماها   واحترقنا في حماها

وعبقنا في سماها   بعبير المُهجات

نحن طلاب الجزائر   نحن للمجد بناة

فخذوا الأرواح منا   واجعلوها لَبنات

واصنعوا منها الجزائر   وخذوا الأفكار عنا

واعصروا منها الحياة   وابعثوا منها الجزائر

نحن من لبى نداها   عندما اشتد بلاها

واندفعنا لفداها   والمنايا صارخات[1]

نحن طلاب الجزائر   نحن للمجد بناة

معشر الطلاب إنا   قدوة للثائرين

كم عصفنا بالجبابر   سل شعوب الأرض عنا

كم صرعنا الظالمين   واحتكمنا في المصائر

نحن بلغنا الرسالة   نحن سطرنا العدالة

نحن مزقنا الجهالة   وصدعنا الظلمات

نحن طلاب الجزائر   نحن للمجد بناة

ثورة التحرير مدي   لبني الجيل يدا

دمها أحمر فائر   واشهدي كيف نفدي

ثورة الفكر غدا   يوم تحرير الجزائر

---

[1]-المنايا: جمع مَنِيّة وهي الموت.

وتســـود العبقريــــــه في بـــــــلاد عربيــــــه
زخـــــرت بالمدنيــــــــه في العــــــصور الخالــــدات
نحـــن طـــلاب الجزائــــر نحـــــن للمجــــد بنـــــاة

مطلـع الفجـر

تـــأذن ربّـك ليـــــلة قـــدر وألقـــى السّتار على ألف شهر
وقـال لـه الـشّعب أمـرك ربّــــي وقـــال له الـربّ : أمـرك أمـري
ودان القـصاص فرنـسا العجـــوز بمـــا اجترحت مـن خداع ومكر
ولعلـع صـمت الرّصـاص يـدوّي فعـــاف اليراع خرافات حـبر !![1]
وتــأبى المـدافع صـوغ الكـــلام إذا لم يكـــن مـن شواظ وجمـر
وتــأبى القنابـل طبـع الحـــروف إذا لم تكـــن مـن سبائكَ حُمْـر
وتــأبى الـصّفائح طبـــع الـصّحا ئف ما لم تكـــن بالقرارات تـسري
ويأبــى الحديـد استماع الحـديث إذا لم يكـــن مـن روائـع شعري
نفمبــــر غيّرت مجرى الحيـاة وكنـــت ـ نفمبر ـ مطلـــع فجـر
وذكَـــرتنا ـ في الجزائـــر ـ بـدرا فقمنـا نـضـــاهي صحابة بـدر

يا ثـورة التحــرير !

نطـــق الرّصـاص فمـا يبـاح كـلام ! وجـــرى القصـــاص فمـا يتـاح مـلام
وقـضـــى الزّمـان فـلا مـردّ لحكمـه وجـــرى القـضـــاء وتمّـت الأحكـام
وسـعت فرنـسا للقيــــامة وانطـوى يـــوم النـشور وجفّـت الأقـــلام
وتعلـــــم المـــستعمرون شــعوبها أنّ التحكـــم في الـشعوب حـــرام
الـسّيف أصـدق لهجـة مـن أحـرف كتبـت فكـــان بيانهـا الإبهـــام
والنّـــار أصدق حجّـة فاكتـب بهـا مـــا شئت تـصعق عندها الأحـــلام
لغـة القنـــابل في البيـان فـصيحة وضـعت لمـــن في مـسمعيه صِمَـام
و" لوافح " النيـــران خيـر " نـوافح" رفعـت لمـــن في ناظـــريه ركـام

---

[1] – اليراع : القلم.

وروائــــح البــارود مــسك نــوافـح ... سُجِرَتْ لـمــن في منخريـه زكــام[1]

والحــــقّ والرشــاش إنطلقــا معــا ... عَنَتْ الوجـــوهُ وخَرّت الأصنـــام !

مــا للجـــزائر ترجـف الدنيا لهـا؟ ... والكـــون يقعـد حولهــــا ويقام ؟

مـــا للقيامـة في الجـــزائر أرعـدت؟ ... ففـدا لهــــا في الخـافقين غمــــام

لا تعجبـوا ... فالدّهـر سجّل دورة ... مـا للخطـوب علـى الـشعـــوب دوام

والــزّرع أخــرج في الجزائـر شطأه ... فمضـــى وهـبّ إلى الحـصاد كـرام

الـشّعب شـقّ إلــى الخلــود طريقـه ... فوق الجمـــاجم والخميس لُهام[2]

وأثـــارها حربـا لأجـــل بقائــه ... قربانــــــها الأرواح والأجــــسام

يـــا ثورة التحـــرير، أنـت رسالة ... أزليّـــــة أعجازهـــا الإلهــــام

لـــك في الجـــزائر حرمـة قدسـية ... و بكـــلّ قلـب في الوجـود هُيَامُ

الــشعــب أنـت ضميـره وصوابه ... والجيـــش أنـت دمـاغه العـلاّم

لـيس الجهــــاد زعـــامة وثنيّـة ... إنّ الجهـــاد شجـــاعة و نظــام

ضــاق الخنـاق علـى دعـاة هزيمـة ... زلّـت بهـــم في الثّـورة الأقـدام

و لقـد بهـرتِ العاليـــن وطأطأتْ ... يـــا ثـورة التحـــرير دونـك هـامٌ[3]

و تقمّصت فيـك الجـــزائر و انبرى ... شـيخ يحـارب في الـوغى و غـلام[4]

يـا جبهـة التحــرير أنت رجاؤنـا ... وعلـى يـديك إلـى المصير زمـــام

شـقّي طـريق الخالـدين، وسطّري ... بـــدم الـشّهادة فالدّمـــاء قـوام

واستنطقي الأحـداث من أجدادنا ... تـشهـد لنـا في الخالـــدين عظـام

واسـتجوبي الأفـلاك عن أمجادنـا ... تدحــضْ كِـذابًا يدّعيـه طغــام[5]

❁ ❁ ❁ ❁

1-سُجرتْ: أشعلت.

2-الخميس: الجيش العظيم. لهام: كثير.

3-هام: رؤوس.

4-الوغى: الحرب.

5-تدحض: تُكَذِب. طغام: أرذل الناس يعني الفرنسيين آنذاك.

محمد بن إبراهيم الطرابلسي

1304 هـ (1887 م) ـ 1368هـ (1948 م)

هو محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي، هاجر والداه سنة 1303هـ من "بريان " إلى طرابلس الغرب وكانت أمّه حاملة به ووضعته سنة 1304هـ

تعلّم في طرابلس وحفظ القرآن. ثم درس في جامع الزيتونة بتونس. ثم رجع إلى "بريان " ثم إلى "غرداية " حيث واصل دراسته. ثمّ عاد إلى طرابلس الغرب حيث نال شهادة التجويد والقراءات السبع.

وعاد مع والديه أخرى إلى بريان سنة 1330هـ حيث بدأ يدرّس بها ولزم التدريس إلى أن توفّي سنة 1368هـ .

له مقالات نشر بعضها في جريدة "الترقي" وقصائد منشورة في الصحف أيضا.

نشيد وطني

هيا بني وطني نسود نبني كما بنت الجدود
هيا بنا رغم الحسود نسمو إلى سعد السعود

❁❁❁❁

طلب الرقي بلا ثمن عار على أهل الفطن
هيا انصروا هذا الوطن فالحرّ من عنه يذود[1]

❁❁❁❁

ما لي أرى أهل الوطن في محنة بل في محن
عنهم تساقطت الفتن والقطر منهم في خمود

[1]-يذود : يدافع.

محمّد السعيد الزاهري - الشهيد -

1317هـ - 1376 هـ - (1899 - 1956 م)

هو محمّد السعيد الزاهري أصله من واحة ليشانة من ناحية بسكرة.

بعد أن حفظ القرآن الكريم ومبادىء العلوم بمسقط رأسه ارتحل إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة، ثمّ عاد إلى الجزائر وتصدّر للتدريس بتلمسان. وكان عضوا في جمعية العلماء المسلمين التي أسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس عام 1351 هـ (1931 م). ثمّ استقرّ بوهران وأخيرا بعاصمة الجزائر، وبها توفّي شهيدا أيّام الثورة الجزائرية.

كان الزاهري من أنبغ الشعراء ومن أبرع الكتاب، له عدّة قصائد رائعة كما له عدّة مقالات قيّمة كان ينشرها بمجلّة "الرسالة" المصرية. ومن تآليفه كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" وكتاب "حاضرة تلمسان". وقد أصدر عدّة صحف: "الجزائر" 1927 و "البرق" 1927 و "الوفاق 1938 و "المغرب العربي " 1947 .

ومن نثره الرائع الذي يقطر أسى وينضح بالعاطفة الصادقة، قوله:"

أرى الجزائر في أنياب بؤس يمضغها مضغا، وأراها في فقر يأكلها أكلا لمًّا، وأراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء، وتحوم في ضلال مبين، فلا أستطيع مع ذلك صبراً. أراها كذلك، فيذوب فؤادي لها رقّة وحزنا وتذهب نفسي عليها حسرات ...

إنه ليكاد يقضي عليّ الكَمَد ويقلقني الأسى إذا أنا ذكرت ما كان لوطني من العزّة والشّرف، وما كان له من السيادة على الفرنجة ... ثمّ أراه صار بعد ذلك كلّه إلى الذّلة والهوان ! كيف لا أمتلئ غمّا عندما أذكر شرف آبائي الجزائريين. لقد سقطت دوّل الإسلام قاطبة بسقوط الجزائر . فإنها وحدها كانت تردّ الغارات التي تشنّها أوروبا على أمم الشرق كافّة"[1].

---

[1]-عن نصّ الرسالة التي وجّهها إلى محمّد الهادي السنوسي الزاهري صاحب كتاب " شعراء الجزائر".

وله في الحث على نكران الذات في سبيل المصلحة العامة:

امض لحالك قُدْمًا يا أخا الهمم ... في خدمة الشعب لا تَعْتَبْ ولا تَلُمِ
ولا يهمّك ممّن يحادّونك إن ... لم يعرفوا لك من فضل و من كرم
لو لم يَروْكَ أخا نعمى لما حسدوا ... علاك فالمرء محسود على النعم
يكفي من الناس أن يرضاك بعضهم ... من ذا ينال رضاء النّاس كلهم

الشهيد عبد الكريم العقّون

1334 - 1379 هـ - (1915 – 1959 م)

ولد في "برج الغدير" بولاية برج بوعريريج، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم وتلقى تعلّمه الأول. ثمّ تتلمذ على الإمام ابن باديس بقسنطينة. ودرس بعد ذلك في جامع الزيتونة بتونس مدّة ثلاث سنوات. وعاد إلى الوطن فانخرط في سلك التّعليم الحرّ، فعلّم بمدرسة "الفلاح" بحي "صالح بوعكوير" بالعاصمة، ثمّ أصبح مديرا لمدرسة "المرادية" وإماما لمسجدها، ثمّ انخرط في صفوف الثورة التحريرية، فاعتقل ثم سجن في "باب الوادي" ونفذ فيه حكم الإعدام سنة 1379 هـ (1959 م).

له ديوان شعر. وكان ينشر قصائدة في البداية في جريدة " البصائر".

تباشير الصباح

أنت سرّ الوجود يا صبح فانشر ... نورك المستفيض في الفلوات
استنارت بك الرّياض فأضحت ... تتغنّى مزهوة ثملات
قد غزا جندك المظفّر واجتا ... ح جنود الغياهب الحالكات
واكتسى الغاب حلّة نسجتها ... أنمل الصبح من سنا الومضات
والقرى قد تلحّفت بشعاع ... ذهبيّ الرّؤى جميل السّمات

وسـرت في الريـاض فرحـة أنـس   أعلنتهـا الطّيـور بالنغمـات
وأرى البحـر باسمـا حـين تبدو   مشرق الـوجه واضح القسمات
كـلّ مـن في الـوجود يهتـزّ شـوقا   لمحيّـاك - يـا جمـال الحياة-
وتغنّـت لـك الطيـور نـشـاوى   بنـشيـد موقّـع النبـرات
إيـه - يـا صبح - أنـت دنيـا من الأطيـاف والسّحر والمنـى المنعشات
تـسحب الحـزن والكـآبة والهـمّ، وتُنـسي فجـائع الحادثـات

في مـولد الربيـع

قـد بـدا البشيـر مـن محيّـا الـربيع   فازدهـى الكـون بالجمـال البـديع[1]
والـروابي قـد أسفرت عـن وجـوه   زانهـا منظـر الجمـال البـديع[2]
اكتـست بُـرْدَها القشيب و تـاهت   فـي دَلال محبّـب للجميـع[3]
وغـدت تـسحر النفـوس بـوَشْي   ناطـق بجـلال سـرّ منيـع
حبّـذا موكـب الـربيع تهـادى   سبقتـه آمالنـا للطلـوع
وشـذى حيثمـا تـوجّهت يغـزو   ك بعَـرف مـن الـرّبى والفـروع[4]
والفـراشات حائمـات علـى الزّهـر يـداعبن ثغـره في ولـوع[5]
والقطيـع انتـشي بلحـن شجـيّ   قـد تغنّـى بـه رعـاة القطيـع
نغمـا يفعـم النفـوس سـرورا   هو أشهـى من صـوت كـلّ سجوع[6]
كـلّ قلـب إليـه ينبض شـوقا   وهيـاما كومـض بـرق لمـوع
كـلّ مـا في الـربيع زاهٍ بـديـعٌ   يجلب الصّفو للحـزين الجـزوع
لا عَدِمـتُ " الربيـعَ " ملهمَ قلبـي   ليتـه لم يمـل إلى التـوديـع

❖❖❖❖

---

[1] محيا: وجه.
[2] الروابي: التلال.
[3] بردها: البُرْد نوع من الثياب. القشيب: الجميل.
[4] بعرف: العرف الرائحة الطيبة.
[5] يداعبن: يلاعبن. ثغره: الثغر هو الفم.
[6] سجوع: جمع سجْع وهو الغناء.

ثورة عربية

سينقشع الغيم المخيّم على شعبي فيغدو ضحوكا مشرق الأفْق كالغرب

ويحظى بآمال عذاب جميلة وكم من جَنًى عذْبٍ لِذِي الأمل العذب

ويخلع أغلالا ثقالا يجرها ويجلو ظلامَ الظلم بالزّأر والوثب[1]

يؤمّل أن يحيا عزيزا مظفرا سريع الخطى للمكرمات وللذبّ[2]

دماء بني العُرْب استفاقت فأيقظت نفوسا فثارت تطير مع السرب

يجاهد أعداء الحقيقة جهده ويرميهمُ مثل الشياطين بالشُّهْب[3]

لقد أوقدوها ثورة عربية بجيش همام كالصواعق منصبّ

شديد المراس في النوازل مدرب جريء إلى واسع الطّعن والضّرب

سيصلى شياطين الطغاة بجمعهم شواظا من النيران كالوابل السكب[4]

ويا شعبُ ولِّ الشرقَ وجهَك واعتبر بجامعة العُرْب الموحّدة الركب

فثق بمباديها وكن من جنودها وخض معها الأحداث جنبا إلى جنب

وما نحن إلا من سلالة يعرب وعبد مناف جدّنا و بنو كعب[5]

نحن في الخَطْب سواء

انجلى الظلم عن " الوادي " الخصيب كانجلاء اللّيل عن فجر حبيب[6]

فوق سبعين قضاها جاثما في ربوع مسّها منه اللّهيب[7]

فعَثَا فيها زمانا حائرا ثمّ ولّى جانحا للغروب

كأي من فؤاد هنا في طرب راقص للنّبإ العذوب

فاذكرونا مثل ذكرانا لكم أيّها الأبطال إنّا في كروب

من دخيل لجّ في طغيانه سدّ في أوجهنا كلّ الدروب[8]

نحن في الخطب سواء هل لنا منكم عون على دفع الخطوب[1]

---

[1]-أغلالا : قيودا. الزأر : هو صوت الأسد.

[2]-الذب : الدفاع.

[3]-الشهب : الكواكب.

[4]-سيصلى : سيشتعل. الوابل : المطر الغزير.

[5]-عبد مناف : جد النبي ﷺ. بنو كعب : لعله يقصد كعب بن لؤي أحد أجداد النبي ﷺ.

[6]-الوادي الخصيب : يعني به هنا وادي النيل أي مصر.

[7]-سبعين : أي سبعين سنة وهي مدة استعمار مصر من طرف الإنجليز.

[8]-لجّ : تمادى وزاد وواصل.

محمّد اللّقاني بن السّايح

ولد سنة 1312 هـ (1895 م)

ولد بالطّيبات (الجنوب الشرقي الجزائري) وتربّى بنفطة (تونس) ثمّ درس بالزّيتونة وحصل على الشهادة العالمية. وبعد رجوعه إلى وطنه أسّس مدرستين إحداهما ببلدة تماسين والأخرى في بلدة قمار في وادي سُوف.

للّقانيّ قصائد بديعة كان ينشرها بجريدة " صدى الصحراء" وبمجلة "الشهاب" التي كان يشرف عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

صرخة إلى الشعب الجزائري[2]

بني الجزائر هذا الموت يكفينا   لقد غُلّت بحبل الجهل أيدينا[3]

بني الجزائر هذا الفقر أفقدنا   كلّ اللّذائذ حينا يقتفي حينا

بني الجزائر هذا اللّهو أوقعنا   في مهلكة عمّت نوادينا

بني الجزائر ما لكم غربا   عن نيل مكرمة ترضي المحبّينا

بني الجزائر قوموا استيقظوا فلَكَمْ   أذاقنا اللّهو والإهمال تهوينا

بني الجزائر ما هذا التقاطع من   دون البرايا عيوب جمعت فينا[4]

فقر وجهل وآلام ومسغبة   يا ربّ رحماك هذا القدر يكفينا[5]

فالجهل قاتلنا والفقر مهلكنا   واليأس خاذلنا واليأس مُرْدِينا[6]

مدّوا يديكم فها كفّي لنتّحد   إنّ التفرّق يا للعار يؤذينا

هيّا نؤمّ زلال العلم نشربه

1-الخطْب: بفتح الخاء المصيبة.

2-نشرت هذه القصيدة في جريدة " الإقدام" لمديرها ومحررها الزعيم السياسي الأمير خالد بعددها الصادر يوم 26 جمادى الثانية عام 1342هـ(1923م).

3-غُلّت: قُيِّدت.

4-البرايا: الناس.

5-مسغبة: جوع.

6-مُرْدينا: مُهْلِكنا.

النّاس بالعلم شقّوا الأرض واخترقوا فالجهل يقتلنا والعلم يحيينا[1]

النّاس بالعلم نالوا كلّ مكرمة وشيّدوا وبنوا عزّا و تمكينا

كلّ المسائل أوهام مخيّمة ونحن بالجهل لا يرجى تلاقينا

ألم نكن أمّة أعلى الورى حسبا فالحلم يشبعنا والوهم يُرْدينا[2]

ألم نكن أمّة جاء الكتاب لها ألم نكن أمّة أزكى الورى دينا[3]

ألم نكن أمّة العرب التي فتحت نورا وتبصرة يهدي المصلّينا

ألسنا من معشر دان الزمان لهم وسيّرت أسد الهيجا مواليناٍ[4]

آباؤنا قد بنوا فيما مضى شرفا ودوّنوا الأرض تنظيما وتمدينا[5]

لكن به عيثت كفّ الغباوة من بالحزم صرحا على رغم المناوينا[6]

حثالة لا نرى في طبعها لينا

❁❁❁❁

أنا أهوى وطني

أنا أهواك ومثلي في الهوى لا يبالي

صار جسمي من تباريح الجوى كالخلال[7]

أنا لا أهوى غزالا أحورا أو مهاة[8]

لا و لا الغِيد الحسان البارعات في الصفات[9]

لا و لا تلك الغصون اليانعات في الفلاة

أنا لا أهوى نجوما نيّرات سابحات

كلّ همّي أن أرى مالكتي في كمال

1-الزلال: الصافي.

2-يُرديناٍ: يهلكنا.

3-الورى: الناس.

4-الهيجا: الهيجاء: الحرب.

5-دانَ: خضع.

6-صرحا: الصرح هو البنيان العظيم. المُناوينا: المناوين جمع مُناوٍ وهو المُعادي.

7-تباريح الجوى: ألم البُعْد. كالخلال: يعني أن جسمه صار شفّافا نحيلا ضعيفا.

8-أحور: هو الجميل العينين. مهاة: هي البقرة الوحشية ويعني هنا المرأة الجميلة.

9-الغيد: جمع غيداء وهي المرأة الجميلة الجسم.

أنـا أهـواك ومثلـي في الهـوى | لا يبـالي
صـار جـسمي مـن تبـاريح الجـوى | كالخـلال
أنـا أهـوى وطنـي رغـم العـدا | وبـلادي
كـلّ يـوم كَلَفِـي مـن حبهـا | في ازديـاد[1]
عِيـلَ صبـري وجنـود جَلْـدِي | في نفـاد[2]
فَأنـا المقتـول في شـرع الهـوى | بالعبـاد
يـا بـلادي لا تذيـبي مهجـتي | بالـدّلال[3]
أنـا أهـواك ومثلـي في الهـوى | لا يبـالي
صـار جـسمي مـن تبـاريح الجـوى | كالخـلال
فأجابتـني بـصـوت خافـت | في الـدّياج[4]
مـا لأبنـائي أضـاعوا رشـدهم | في اللّجـاج[5]
وغـدوا بـين الـورى مـن غيّـهم | في فجـاج[6]
قلـت: عفـوا قـد مضى عصـر القِـلى | والجـدال[7]
يـا إلهـي مِـن أنـاس سـيرهم | في اعوجـاج
أنـا أهـواك ومثلـي في الهـوى | لا يبـالي
صـار جـسمي مـن تبـاريح الجـوى | كالخـلال

❁❁❁❁

الجزائري يفخر بنفسه

أنـا ذلـك الشهـم الأبيّ ومـن لـه | عنـد المكـاره صـولة الآسـاد[8]
أنـا ذلـك الحـرّ المذلّـل في الـوغى | كـلّ الـصّعاب بفكـره الـوقّاد[9]

---

[1]-كلفي: الكلف هو شدة الحب.
[2]-عِيل صبري: انتهى صبري. جلدي: الجلد بفتح الجيم واللام هو الصبر. نفاد: انتهاء.
[3]-مهجتي: نفسي.
[4]-الدياج: الدياجي هي الظلمات.
[5]-اللجاج: التطرف.
[6]-غيهم: الغي الضلال.
[7]-القلى: البغض والكُره.
[8]-الشهم: هو من يتصف بالأخلاق وبالفروسية. الأبي: الذي يرفض الظلم. الآساد: جمع أسد.
[9]-الوغى: الحرب.

استنهاض الشعب

قـومٌ يـرون المـنّ[1] صـابا علقمـا ... ويـرون طعـم الصّبر[2] أطيـب زاد
ويـرون عـار الجهـل أشرف خطّـة ... يختـال في أثوابـها المتهـادي
ويـرون نـور العلـم نـارا تـصطلي ... في حرّهـا حـسناتهم بنفـاد
ويـرون جمـع المـال أكـبر رتبـة ... مـن رتبـة التهـذيب والإرشـاد
جعلـوا التملـق للحيـاة وسيلـة ... فاستعـبدوا بالأهـل والأولاد[3]
وتقاعـدوا عـن نيـل أيّ فـضيلـة ... وتقاعـسوا عـن رحمـة و وداد
لبـسوا شـعار الـذلّ طـول حيـاتهم ... ويـسارعـوا للكيـد والإفـسـاد
عبـدوا المزامـر واسـترقّ رقـابَهم ... نقـرُ الدفـوف ورنّـة الإنـشاد
بـاعوا ببنـت الخـان فـضل عقولهـم ... فبغـوا علـى الأرواح والأجـسـاد[4]
لم يعلمـوا علمـا صحيحـا أنّ في ... مـوت الـشعـوب إهانـة الأفـراد
علمـتهم بالعلـم كـلّ فـضيلـة ... ودعوتهـم مـن حاضـر أو بـاد
فوجـدت في الأرواح موتـا كامنـا ... وعلمـت أنّـي صـارخ في وادي
ورأيـت أشـباحا تقـلّ عمائمـا ... ونظـرت أجـسامـا بـدون فـؤاد
فعلمـت أنّـي مـا ظفـرت بطائـل ... ولغيـر أحيـاء ظللـت أنـادي
فيئـست يـأس مـودّع الأمـوات في ... ضـيق القبـور وظلمـة الألحـاد[5]
ورفعـت طـرفي للـذي فطـر الـسما ... ومـددت كفّـي للـرّحيم الهـادي[1]
"قـد ضـقت ذرعـا فلـتعني برحمـة ... قـد طـال سـقمي واسـتطال سهـادي"[2]
فلأنـت أرحـم أن تخيّـب سائـلا ... و لأنـت أكـرم أن تـردّ منـاد
فامـدد بـروح منـك ينهـض شعبنا ... مـن غفلـة أودعـت بـه و رقـاد
إن دام هـذا الحـال بـين رؤوسنـا ... فالمـوت أشـرف عائـد أو عـاد

---

[1]-المنّ : فاكهة مائعة تنعقد على بعض الأشجار عسلا وتجف جفاف الشمع . صابا: الصاب والعلقم هو مُرّ الطعم جدا.

[2]-الصبر: بكسر الباء وقد سكّنه هنا لضرورة الوزن هو نبات ذو طعم يتسم بالمرارة الشديدة . والزاد الطعام ونحوه مما يتزود به الإنسان.

[3]-التملق: النفاق.

[4]-بنت الخان: الخمر.

[5]-الألحاد: جمع لحد وهو القبر.

الشيخ عبد الحميد بن باديس

1310 – 1359 هـ (1892 – 1940 م)

تلقّى علومه الأولى بمسقط رأسه، ثمّ ارتحل إلى تونس وأخذ عن مشيخة جامع الزيتونة، وإلى مصر حيث أخذ أيضا عن مشائخ الأزهر. ثمّ حجّ وزار. وفور عودته إلى مسقط رأسه شرع يلقي الدروس بالجامع الكبير، ثمّ بالجامع الأخضر. وكان يحضر دروسه خلق كثير، وانتفع بها عدد لا يحصى من الطلبة.

وفي عام 1349هـ (1930م) أسس بالجزائر العاصمة "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي أخذت على عاتقها نشر اللغة العربية وتعاليم الدّين الإسلامي في جميع أنحاء القطر الجزائري.

تصدّى ابن باديس لمحاربة الأمية والبدع. وكان ينتقل من بلدة إلى أخرى، ومن ناحية إلى ناحية خطيبا ومرشدا ومعلما إلى أن وفاة الأجل المحتوم بمسقط رأسه قسنطينة، بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بقليل، ودفن في مقبرة أسلافه.

نشر مقالات قيّمة في مجلة "الشهاب" التي أنشأها بقسنطينة وفي جرائد "السّنّة" و "البصائر" وغيرهما. ويرجع له الفضل في نشر كتاب "العواصم على القواصم" للإمام ابن العربي الذي طبع بقسنطينة عام 1346 – 1347هـ (1927 – 1928 م).

نشر له بعض تلاميذه المخلصين دروسه في التفسير تحت عنوان "مجالس التذكير" طبع بقسنطينة سنة 1367 هـ (1948م).

❁❁❁❁

---

[1] طرفي: عيني.

[2] ضقت ذرعا: مللتُ. سقمي: السقم المرض. سهادي: السهاد السهر والأرق.

شعب الجزائر مسلم

شـعب الجـــزائر مـــسلم وإلى العــــروبة ينتـــسب
مــن قــال حــاد عــن أصلــه أم قــال مــات فقـد كـذب
أو رام إدمـــاجا لـــه[1] رام المحـــال مــن الطلـــب
يـــا نَـــشْءُ أنـــت رجاؤنـــا وبـك الــصبـاح قــد اقتــرب
خــذ للحيـــاة ســـلاحها وخـض الخطــوب ولا تهــب
وارفـــع منـــار العـــدل والإ حــسان واصـدم مـن غـضب
واقلـــع جـــذور الخائنيـــن فمنهـــمُ كـــلّ العطـــب
وأذق نفـــوس الظّالميـــن سمّـــا يمـــزّج بالرّهـــب
واهـــزز نفـــوس الجامديـــن فربّمـــا حيـــي الخـــشب
مـــن كـــان يبغـــي ودّنـــا فعـــلى الكـــرامة والرّحـــب
أو كـــان يبغـــي ذلّنـــا فلـــه المهـــانة والحَـــرَبْ
هـــذا نظـــام حياتنـــا بالنّـــور خُـــطَ وباللّهـــب
حتّـــى يعـــود لقومنـــا مـــن مجـدهم مـا قـد ذهـب
هـــذا لكـــم عهـــدي بـــه حتّـــى أوسّـــد بالتُّـــرَبْ[2]
فـــإذا هلكـــتُ فـــصَيْحتـــي تحيـــى الجـــزائر والعـــرب

خــافقــات البنـــود[3]

اشهـــدي يـــا سمـــا واكتبـــن يـــا وجـــود
إنّنـــا للحمـــى سنكـــون الوجـــود[4]
لنـــزيح البـــلا ونفـــك القيـــود
ولنـــشر الـــرضىٰ مـــن وفـــى بالعهـــود
ونـــذيق الـــردى كـــلّ عـــات كنـــود[5]

---

[1]-إدماج: الإدماج هو جعل الجزائريين مواطنين فرنسيين وجعل الجزائر جزءا من فرنسا.
[2]-حتى أوسد بالترب: حتى أموت.
[3]-الرايات المرفرفة.
[4]-الحمى: ما يحامي عنه الإنسان ويدافع من عِرض ووطن ونحو ذلك.
[5]-الردى: الموت. عات كنود: طاغية متجبّر.

فيَرى جيلنا	ذكريات الجدود
ويَرى قزمنا	خافقات البنود
ويُرى نجمنا	للعلا في صعود
فنضمّ اسمنا	صفحات الخلود
هكذا هكذا	هكذا ستعود
فاشهدي يا سما	واكتبن يا وجود
إنّنا للعلا	إنّنا للخلود

رمضان حمّود بن سليمان

1324 – 1348 هـ (1906 – 1929 م)

هو حمّود بن سليمان لقّب برمضان. ولد سنة 1324 هـ بغرداية، وقرأ القرآن ثم اللغة الفرنسية بمدينة "غليزان". ثمّ بعثه أبوه إلى تونس. ولدى عودته إلى الوطن جعل نصب عينيه إصلاح المجتمع، ولكنّ مرض السلّ أودى بحياته وهو ما يزال فتى، حيث توفي سنة 1348 هـ(1929 م).

تدور معظم قصائده بين الحماسة ووصف الطبيعة. ورغم أنه غادر هذه الدنيا وهو في ربيع العمر، إلا أنه كان ثرّ الإنتاج، فقد خلّف كتابين هما : "بذور الحياة" و"قصّة الفتى"، ومجموعة من المقالات التي كان قد نشرها في جريدتي "الشهاب" و "وادي مزاب" .

❁❁❁❁

بذل النفس

أعانق الحق في قول وفي عمل	وأُنهِضُ القومَ إن مالوا إلى الكسل
فلا أداهن قومي إن هم اقترفوا	ذنبا يلابس وجه الحقَ بالخجل[1]
ولا أعيش بأرض الذلّ مكتئبا	فالذلّ من شيمة الأنذال والسفل

[1]-أداهن : أجامل.

وأبذل النفس في سبيل الحياة فدى "ولا أعول في الدنيا على رجل"[1]
فهاته غايتي بالجدّ أبلغها وأبتني منزلا في دارة الحمل[2]

✿✿✿✿

نضال[3]

سمعت بأنّ السجن أضيق من قبر فألفيت قعر السجن أحسن من قصر[4]
فماذا يفيد القصر والقلب حائر وماذا يضرّ السجن من كان ذا قدر
ومن لم يذق طعم الردى بنضاله سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري[5]
يعيش كئيبا حائرا طول دهره يرى في صروف الدهر عسرا على عسر[6]

✿✿✿✿

دمعة حارة في سبيل الأمة

بكيت على قومي لضعف نفوسهم على حمل أثقال العلى والفضائل
بكيت عليهم والحشا متقطع بكائي على طفل ضعيف العزائم
بكيت عليهم إذ رأيت حياتهم مكدّرة مملوءة بالعجائب

✿✿✿✿

---

1 –الشطر الثاني للشاعر الطغرائي صاحب قصيدة لامية العجم. وتمام البيت هو: وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل.

2 –دارة الحمل: منزل من منازل القمر.

3 –اعتقل الشاعر سنة 1925 وأودع السجن على خلفية انتمائه ووطنيته.

4 –ألفيت: وجدت.

5 –الردى: الموت.

6 –صروف الدهر: مصائبه وتقلباته.

بكيت عليهم إذ نسوا كلّ واجب ومالوا إلى حبّ الهوى والرذائل
بكيت عليهم كلّما هبّ حرصهم وظنّوا بأنّ المرء عبد الدراهم
بكيت عليهم ـ لا أبا لك ـ فالبكا طبيب يبلّ الصّدر عند المصائب[1]

بكيت على شبّاننا وغرورهم فما بالهم لم يهتدوا بالأوائل
بكيت على روح البلاد تضاءلت بجهل وخذلان وكفر النعائم
بكيت على الأيّام تمّ نحوسها فعاش كريم النفس رهن المخالب[2]

❁❁❁❁

اركضوا نحو الأمام

يا كرام الناس فيقوا من سبات لا يليق[3]
انبذوا الجهل وروموا كلّ علم واستفيقوا

انبذوا ذاك التواني وافعلوا فعل الرجال[4]
اتركوا تلك الأماني إنها بحر الضّلال

❁❁❁❁

كلّ شرّ في الجمود كلّ عيب في الخمول
ارفعوا فوق البنود مجد شعب في ذهول[5]

❁❁❁❁

1-لا أبا لك: كلمة دعاء.
2-المخالب: هي للحيوان مثل الأظفار للإنسان.
3-سُبات: نوم عميق.
4-انبذوا: اتركوا. التواني: الكسل.
5-البنود: الرايات.

إنّمـــا الإحجـــام ذنـــب فاتبعـــوا ســـبل الكـــرام[1]
إنّمـــا الإحجـــام عيـــب فاركـــضوا نحـــو الأمـــام

❖❖❖❖

إنّ كـــلّ النـــاس نالـــت مـــا بـــه الله عليـــم
وشعـــوب الـــشرق ماتـــت واستحـــالت كالرمـــيم[2]

❖❖❖❖

هـــل بهـــذا ســـوف نبـــني مجـــد أبنـــاء العـــرب
رحمـــة الله عليـــنا قـــد قـــسمنا كالـــسلب

❖❖❖❖

عبـــوس الدهـــر

ويـــلاه مـــن هـــمّ يذيـــب جـــوانحي فكأنّمـــا في القلـــب جـــذوة نـــار
نفـــسي معذّبـــة بهمّـــة شـــاعر دمـــعي علـــى رغـــم التجلّـــد جـــار
حظّـــي علـــى متـــن النوائـــب راكـــب تمـــشي بـــه لمحطّـــة الأكـــدار
قـــد خانـــني دهـــري وتلـــك سجيّـــة للـــدّهر مثـــل سجيّـــة الأشـــرار
هـــو دائمـــا لـــي عابـــس متنكّـــر حتّـــى الطبيعـــة حـــسنها مُتـــوار

❖❖❖❖

موطن الأمجاد

موطـــن الأمجـــاد ... سيرا للعـــلا عـــشت حـــرًا يـــا مقـــرّ الفـــضلاء
ارفـــع الـــرّأس وزاحـــم مـــن عـــلا واتـــرك الخـــوف لقلـــب الجبنـــاء
وانـــشد الحـــقّ وطالـــب مـــا تـــرى فيـــه خـــيرا لبنيـــك النبـــلاء[3]
لا بـــذلّ وهـــوان وصَغـــار لا بحـــرب ودمـــار ودمـــاء

---

[1]-الإحجام: التراجع.

[2]-الرميم: هو من العِظام ما يتفتت في يدك.

[3]-انشد الحق: اطلب الحق.

بـل بـسلم وهـدوء وهـدى وبعلـم ونـشاط وذكـاء
أنظروا الغرب بعلم ما بنى من قصور شامخات للعلاءِ
ملك الدنيا وما يتبعها من تراب و ميّاه وهواء

✿✿✿✿

المجد قرين الجهاد

لـن ينـال العـزّ شـعب كالجماد فاقد الإحساس خال من شعور
لـن ينـال العـزّ شعب بالرّقاد يترك اللّبّ ويعنـي بالقشور
إنّما المجد قرينٌ للجهاد ووئام وثبات في الظهور

المولود الزريبي

1315 – 1344 هـ (1898 – 1925 م)

هو المولود بن محمّد بن عمر الزريبي، نسبة إلى قرية زريبة الوادي قرب بسكرة. حفظ القرآن في صغره وتعلّم مبادئ اللغة العربية. ثمّ شد الرحال إلى مصر حيث قضى أربع سنوات في جامع الأزهر. وعاد إلى مسقط رأسه ليباشر التعليم.

مارس الكتابة ونشر مقالات في جريدة الصداقة، ثمّ تولّى التدريس بالجامع الأعظم بالعاصمة. ثمّ عيّن إماما خطيبا بـ "بوفاريك". له مصنفات منها: كتاب في "الأخلاق".

✿✿✿✿

نشيد وطني

نفدي بأنفسنا الوطن وبمالنا أن لا يهان
و دمائنا من دون أن يُودِي ويذهب عزّنا[2]

---

[1] صَغار: ذل.
[2] يودي: يموت.

فمــــتى نفيــق مــن الســبات ونـــسود كالقـــوم الـــسراة[1]
فتكـــون عنـــد المكرمـــات فـــوق الـــسهى أقدامنـــا[2]

✿✿✿✿

يـــا ربَّ ذا الجـــود الجـــري امنـــــن بعـــصـــر زاهـــر
واهـــد الجميــــع لمفخـــر بالاتحـــــاد كغيــــــرنا

الشهيد الربيع بوشامة

1335 – 1379 هـ (1916 – 1959 م)

ولد بقرية "قنزات" بولاية سطيف في أسرة فقيرة. حفظ القرآن الكريم ودرس الإبتدائية ثم أخذ عن الإمام ابن باديس بقسنطينة . وبعد ذلك تصدر للتّدريس، فدرّس في "خراطة" حيث ألقي عليه القبض في حوادث 8 ماي 1945 وحكم عليه بالإعدام، ثم صدر العفو بحقّه، فانتقل إلى العاصمة حيث واصل التّدريس بمدرسة "الهداية" في حي العناصر ثمّ مدرسة "الثبات" بالحرّاش وفيها كان معلّما ومديرا .

ثم انضم لثورة التحرير، وألقي عليه القبض واقتيد إلى معتقل "بودواو". ثم نفذ فيه حكم الإعدام. وللشّهيد شعر غزير نشر أغلبه في جريدة "البصائر".

✿✿✿✿

يا ربيع هل فيك خلاص؟

مرحـــبا يــا ربيـــع طبـــت مـــزارا بعـــد بَيْـــنٍ مـــبرّح وشجـــون[3]
غـــاب مذ غبـت كلّ أنس وحسن واكتســـى الكـــون وحـشة المحـــزون

---

[1]-السراة: بفتح السين وتشديدها الشرفاء.

[2]-السهى: كوكب.

[3]-مَزارا: المزار هنا بمعنى الزيارة. بين مبرح: فراق مؤلم. شجون: أحزان.

عـاد إذا عدت للوجود جمـال وجـلال وكـلّ طيـب وليـن
قد أتـى لاستقبالك اليـوم وفـد مكـرم زكـي الحسّ جمّ الحنين[1]
من صغـار بيض الوجـه عطـاش كالعصـافير أطلقت من سجـون
حبّذا عيشة الصبا والربيع الغضّ في السّهـل والرّبى والحـزون[2]
إيـه بـالله يـا ربيـع حديـث النـور والزّهـر والهـوى المدفون
أنـت للكـون روح أنـس وحـبّ منـك دنيا الصّفا وأحلـى مَعين
عَـلّ في قـربك الهـنيء شفـاء لكئيـب يشـقى بـصرف المنـون[3]

❁❁❁❁

ثوروا على الظلم

أراكـم نـسيتم عهـودا مـضت عهـود أُميّـةَ أو تَغْلِـبِ[4]
فثـوروا علـى الظلـم مثـل جـدود عنـا لهـم الغـرب في الأحقـب[5]
فكـم حطّمـوا معقـلا شـامخا وسـادوا مـن الـسؤدد الأعجـب
وكـم أرشـدوا حـائرا أو تائهـا يقفـز مـن الـشك أو سـبب
أرى الغـرب قـد جمعـوا شملهـم علـى الشرق والشّرق مثـل الصّبي
فـدرس فلـسطين درس بليـغ يـذكّرنا الحلـف في موكـب
رويـدك يـا غـربُ لا تغـترر فـشمس بـني الـشرق لم تغـرب[6]
وإنـا سـنرجع عهـد الإخـاء ويجمـع شمـل بـني يعـرب[7]
فحـسبك بالـضاد مـن نـسبة إذا مـا انتـسبنا وديـن الـنبي[8]

---

[1]-جم الحنين: كثير الحنين.

[2]-الغض: الناعم. الربى: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض. الحزون: جمع حزن بفتح الحاء وسكون الزاء وهو ما غَلُظَ من الأرض وارتفع.

[3]-صرف المنون: مصيبة الموت.

[4]-أمية: يعني بني أمية ومنهم الخلفاء الذين حكموا في صدر الإسلام. تغلب: قبيلة عربية قوية منهم كُليب والمهلهِل أول من هلهل الشعر أي نطق به.

[5]-عنا: خضع.

[6]-رويدك: مَهْلا.

[7]-شمل بني يعرب: شمل العرب أي تفرقهم.

[8]الضاد: لغة الضاد هي اللغة العربية.

الموت في العز

أيّهـــا العُـرْبُ أمّـة المجـد والبـأ ساء مـاذا ترجـون غـير التفــاني[1]

إنّــه المــوت في الكــرامة والعــزّ أو العيـــش في الـــشقا والهـــوان

تحت حكم اليهـود أخبـث مـن عـا ث فـــســادا في عـــالم الإنـــســان

وألــدّ الخـــصوم أبلـــوا بـــلاء منكـــرا في التخريـــب للعمـــران[2]

أيـــن ذاك الجزائـــري المـــجلّى في ميادـــن كـــلّ حـــرب عـــوان[3]

كيـف يرضـون عيـش أمـن وخـير وفلـــسطيـن في الجحـــيم تعـــاني

هـل نـسيتم عهـد الأخـوة والقـر بـى وفـضـل التحريـر والانـسـان

رحـــم الله كـــلّ حـــرّ شهيـــد في سبـــيل الإســلام والأوطـــان

❁❁❁❁

صدمة أوّل "مايو"

قُبِّحـتَ مـن شهـر مـدى الأعـوام يا " مـايو " كم فجعت مـن أقــوام !

شـابت لهـولك في الجزائــر صبية وانمـاعَ صخــرٌ مـن أذاك الطـامي[4]

وتفطّـــرت أكبـاد كــلّ رحيمـــة في الكـــون حتـى مهجـة الأيـــام[5]

تاريخـــك المـــشؤوم سطّـــر مـــن دم ومدامـــــع في صفحـــــــة الآلام

إن أعلنـــوا فيـك الـسلام فقـد رمـوا بـــابن الجـــزائر في ســواءِ ضِـرام[6]

وتناهبـــوا أمـــواله وحياتـــــه وشرّبـــوا مهجـــاته بهيـــام

طلبـــوه للهيجـــاء حتّـى حـــرّروا بكفاحـــه ... فجَـزَوْهُ بنـتَ حُـسَام[7]

لابـــدّ أن يبـــقى كرمـــز خـــالد يوحـي الشجا ويصيح مثـل الهام[1]

---

[1] -البأساء: هنا بمعنى القوة في وقت الحرب.

[2] -ألد الخصوم: أشد الأعداء. أبلوا بلاء: قاموا بجهد كبير.

[3] -المجلي: الأول.

[4] -انماع: ذاب.

[5] -تفطرت: تحطمت.

[6] -سواء ضرام: وسط النار.

[7] -بنت حُسام: ضربة سيف.

ألقوه في الأغـلال نضوا[1] صاديا[2]	واستيـق بـين الجنـد للإعـدام
ورمـوا بـه وبولـده مـن حالـق	جـزر السـباع كجيفـة لسـوام[2]
وتتـابع الأولاد ثـمّ أبوهـم	يُسقـون في النّيران كـأس حِمـام
ذهـبوا وأمسـت دارهـم مفجوعـة	تبـكي رزيّتـها وذلّ مقـام
مـن للحليلـة مـن لأمّ والِـهٍ	وولائـد مـن رُضّـع وفطـام[3]
لاذوا بحـزن قاتـل ومـدامع	مكبـوتة تذكـي أشدّ ضـرام
يا "مايو" مـا لـك واجما لم تنقم	أوَ مـا سقـاك الظلـم أسوأ جام؟[4]
هـذا حـرامك بالدّمـاء مشـوّه	قـد عـجّ بـالأرواح والأجسـام
مهـج وآذان وكـبد رطبـة	شويـت وكانـت مـن ألذّ طعـام
فارفـع إلى مـولاك شكوى ضارع	يبـرا مـن الحكّـام والأحكـام
عجّـل لهذا الغرب يـا ربّ السمـا	بقواصـم مجتاحـة وضـرام

مصطفى بن يلس

1318 – 1382 هـ (1900 – 1963 م)

هو الحاج مصطفى بن أحمد بن يلس التلمساني النشأة الجزائري الدّار. تلقّى دروسه بالمدرسة الإسلامية بتلمسان ثمّ بالمدرسة الثعالبيّة بالجزائر. ثمّ تولّى خطّة التدريس بمدينة سيدي أبي العباس، ثمّ نقل إلى مثل منصبه بالجامع الأعظم بالجزائر وبقي بها إلى وفاته.

له شعر جيّد غزير في قصائد.

❁❁❁❁

[1] -الشجا: الحزن. ويصيح مثل الهام: يشير هنا إلى تقليد عربي في الجاهلية قبل الإسلام هو أن العرب كانوا يعتقدون أن الميت يلازم قبره طائر يصيح: اسقوني اسقوني.

[2] -جزر السباع: فريسة للسباع. سوام: بهيمة.

[3] -الحليلة: الزوجة. واله: حزينة مفجوعة قد ذهب عقلها من الحزن.

[4] -جام: كأس.

استفيقوا

علا صوت الحقيقة يبتلينا ... به المولى فهل من سامعينا

ألا يا قوم ويحكم استفيقوا ... فقد بزغت شموس العالمينا

أرى الأقوام قد سادوا وشادوا ... وأعلوا للعلا صرحا متينا

بتدبير وعلم واختراع ... وآلات كأيدي المعجزينا

ومنطاد يشقّ الجوّ شقا ... وما بردت صدور الطائرينا[1]

وغوّاص يغوص البحر عمقا ... ويعبث سابحا بالسابحينا

وأجهزة لتبليغ ونشر ... وتقريب المدى للشّاسعينا

فلو كنّا أصبنا السّرّ منها ... لأدركنا ضجيج الطائفينا

ولبّينا بتلبيّة وسعد ... وأمّمنا إمام المحرمينا

ولكنّا أضلّ الناس جهلا ... ومن لك بالعماة الجاهلينا

وصرنا أضعف الأقوام طرّا ... وصرنا لقمة للآكلينا[1]

و صرنا مصدر الأشرار لمّا ... أبينا شرعة الإسلام دينا

و صرنا لعبة الجهّال لمّا ... رضينا شرّة التقسيم فينا

ألا نظرا لتاريخ مجيد ... لنرجع بعض مجد الأوّلينا

كفى هذا السبات وكان عارا ... علينا النوم وسط الناهضينا

فصونوا الأصل والعرفان كي لا ... تضيع حياتكم في العالمينا[2]

كأنّي بالقيامة قد أقيمت ... قيامتنا وما من شافعينا

وهذا أحمد المختار يدعو ... ورب العرش قاضي الواقفينا

فما قدمتمُ وبمَ اعتصمتم ... فلا منجى بمال أو بنينا

ولكنّ النجاة بفضل علم ... وتقوى الله خير الحاكمينا

هلمّوا يا بني الإسلام واسْعَوا ... وغذّونا بعلم الرّاسخينا

وأحيوا ذكر آباء كرام ... تنالوا العزّ والنّصر المكينا

وأعْلُوا قدرنا شرفا وعلما ... فإنّ العلم تاج العارفينا

وأحيوا بيننا لغة تجلّت ... بلاغتها كتابا مستبينا

فسوف ترون ما نقوى عليه ... فقد هان العنا للنّابهينا

---

[1]-منطاد: هو بالون كبير فيه مكان معد لركوب المسافرين.

الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي

1306 /1385 هـ (1889 – 1965 م)

هو الشيخ طالب محمّد البشير المدعو الإبراهيمي، ولد بقرية أولاد إبـراهيم من نواحي سطيف.

أخذ مبادئ العلوم عن علماء سطيف ثمّ ارتحل إلى الشرق حيث أتمّ دراسته، وجاور بالمدينة المنورة وألقى دروسا بمسجد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كما ألقى دروسا بدمشق.

وتأثّر بأفكار المصلحين العظيمين : جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده.

ولّما عاد إلى الجزائر شارك في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين عام 1350 هـ (1931 م)، ثمّ استقرّ بتلمسان مدّة ثمان سنوات ألقى بها دروسا قيّمة.

وكان وراء تشييد المدرسة المعروفة بـ " دار الحديث " التي افتتحت عام 1356 هـ وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية أجبر على الإقامة بآفلو .

خلَف الشيخ عبد الحميد بن باديس في رئاسة جمعيّة العلماء ابتداء من عام 1364 هـ

ثمّ غادر إلى مصر واستقرّ بالقاهرة أيّام الثورة. ولم يعد إلى الوطن إلاّ بعد الاستقلال حيث مرض ولزم الفراش إلى أن توفّي بالجزائر العاصمة.

كان الإبراهيمي من أكبر المفكّرين، ومن الكتّاب البارزين، ومن ذوي الثقافة الواسعة، يتجلّى ذلك في ما كتبه من المقالات التي كان ينشرها في جريدة "البصائر" ولا سيّما ما نشر منها في كتاب: "عيون البصائر" من مقالات.

وكان مراسلا للمجمع العلمي العربي بالقاهرة .

---

[1] -طرًا : جميعا.

[2] -العرفان : المعرفة.

ما أنا إلا البحر

سكتُّ، فقالوا: هدنة من مسالم ... وقلت، فقالوا: ثورة من محارب

وبين اختلاف النّطق والسّكت للنّهى ... مجال ظنون واشتباه مسارب

وما أنا إلاّ البحر: يلقاك ساكنا ... ويلقاك جيّاشا مَهُولَ المغارب

و ما في سكون البحر منجاة راسب ... ولا في ارتجاج البحر عصمة سارب

و لي قلم آليت أن لا أمدّه ... بفتل موارٍ، أو بختل موارب[1]

جرى سابقا في الحقّ ظمآن عائفا ... لأمواه دنياه الشّرار الزّغارب[2]

❁❁❁❁

يسدّده عقل رسا فوق ربوة ... من العمر، روّاها معين التجارب

إذا ما اليراع الحرّ صرّ صريره ... نجا الباطل الهاري بمهجة هارب[3]

ومن سيّئات الدهر أخلاف فتنة ... وجودهمُ إحدى الرّزايا الكوارب

و من قلمي انهلّت سحائب نقمة ... عليهم بودق من سمام العقارب[4]

فيا نفس لا يقعد بك العجز وانهضي ... بنصرة إخوان، وغوث أقارب

حرام قعود الحرّ عن ذود معتد ... رمى كلّ ذود في البلاد بخارب[5]

وبَسْلٌ سكوت الحرّ عن عسف ظالم ... رمى كلّ جنب للعباد بضارب[6]

❁❁❁❁

ينال العلا شعب يقاد إلى العلا ... نشوان، من نهر المجرّة شارب

رعى الله من عُرْب المشارق إخوة ... تنادوا فدوّى صوتهم في المغارب

---

[1] موار: المواري هو الذي يقول عكس ما يريد. الختل: الخديعة. موارب: مخادع.

[2] أمواه: جمع ماء ومياه. الزغارب: الكثيرة المياه.

[3] اليراع: القلم. الصرير: صوت القلم إذا يكتب. الهاري: المنهار.

[4] الودق: المطر.

[5] ذود معتد: مقاتلة المعتدي مقاومته. رمى كل ذود: رمى كل جماعة.

[6] بسل: حرام.

توافــوا على داع من الحقّ مُسْمِعٍ ووفَــوا بــنذر في ذمـام الأعــارب[1]
هـمُ رأس مـــالي، لا نُـضار و فـضّة وهـم ربـح أعمـالي ونُجْــح مـآربي[2]
وهم موردي الأصفــى المروّي لغلَتــي إذا كــدرت " أمّ الخيــار[3]" مـشاربي

إبراهيم أبو اليقظان

1306 – 1393 هـ (1888 – 1973 م)

هو الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى بن يحيى المعروف بـ أبي اليقظان، ولـد في القرارة إحدى واحات ولاية غرداية. نشأ يتيما. تعلّم في قريته ثمّ درس على علماء وادي ميزاب ومنهم الشيخ اطفيش، ثمّ حجّ وزار أكثر البلاد المشرقية. ثمّ تابع أخيرا دراسته بتونس بجامع الزيتونة. ولّما عاد إلى الجزائر سنة 1914 أسّس مكتبا عربيا وكان له نشاط عظيم في الـصحافة، أصدر صحيفة "وادي ميزاب" وكتب فيها مقالات عديدة .

للشّيخ أبي اليقظان عـدّة مؤلفات ورسائل منهـا : "حياة سليمان باشا الباروني" في جزءين، وديوان شعر ذائع الصيت سماه : "وحي الجَنان من ديـوان أبي اليقظان" .

وصفه الأستاذ أحمد توفيق المدني بالشاعر الكبير وقال عنه لّما نشر ديوانه : "وبودّنا لو يقتدي به بقيّة شعراء الجزائر الأفذاذ ...

❁❁❁❁

إنّما الدنيـا جهاد

اِبْنِ صرحَ المجد عـن أسّ الـضحـايا واشـدد عـرش العـــلا رغـم البلايـــا[4]

---

[1] ذمام الأعارب: معناه هنا: أعناق العرب.
[2] نضار: النضار هو الذهب.
[3] أم الخيار: كنية فرنسا وسمّاها أم الخيار سخرية وتبكيتا. غلتي: الغلة العطش.
[4] أس: أساس.

خُضْ غِمار الهول غوصا إنّما   لؤلؤ التيجان في بحر المنايا
إنّ في الموت لطلاّب العلا   لحياة لا حيا أهل الدنايا
إنّما الدنيا جهاد من ينم   يومه داسته أقدام الرّزايا
ولنيل الحقّ دوار عددت   خطوات جازها كلّ البرايا
فأنين فكلام فصيا   ح فخصام فجلاء فسرايا[1]
وثبات للمعالي وثبا   ت للعوالي وخصال ومزايا
ليس حكم النفي والسجن و لا   الحكم بالشنق له إلاّ مطايا[2]
أي شعب نال ما نال إذا   لم يقدّم سلفا تلك الهدايا
أي شعب نال حرّيته   وهو لم يطلع لها تلك الثنايا[3]

❁❁❁❁

وداع الوطن

بلادي مَنبتَ العُظما وداعا   فقد أزِفَ الرّحيل بنا سراعا[4]
سنرحل والقلوب لديك تبقى   تحيّي دائما تلك البقايا
سنرحل (يا مزاب) غدا لتحيا   علاك فتصبح الحرّ المطاعا
فكم في السير من نفع عظيم   لشعب حلّه ضعف وضاعا
وهل نهضت بلاد الضّعف إلاّ   بفضل السّير في الأرض اطلاعا
سنعمل ما يبيّض منك وجها   بإذن الله عزّا وارتفاعا
إذا كادت لك الأعداء كيدا   وراموا الإزدراد والابتلاعا[5]
بذلنا ما لدينا واتخذنا النفوس لك المعاقل والقلاعا
فنعلمهم بأنّ لنا حقوقا   ويأبى الله إلاّ أن تراعى
وإن رامت لك الأوغاد كيدا   هززنا نحوهم ذاك اليراعا[6]

---

[1] السرايا: جمع سرية وهي وحدة قتالية من أجزاء الجيش.

[2] مطايا: جمع مطية وهي ما يركب من الخيل والإبل ونحوها، وهنا معناها وسائل.

[3] الثنايا: جمع ثنية وهي المكان المرتفع.

[4] أزف: حان.

[5] الازدراد: الابتلاع.

[6] اليراع: القلم.

فأصعقهم بنـار الشهب فـورا   فيضحوا خامدين ولا نزاعـا
يراعي كـان في الـدنيا طبيبـا   "يداوي رأس من يشكو الصّداعا"[1]
ألا فليعلـم الأضـداد أنّـا   نـريد لـشعبنا حقّـا مُشاعـا[2]
فإنْ سِلمًا فنحـن لـذلك أهـل   و إن ضـدّا فـإنّ لنـا لَباعـا[3]
فـإنّ لنـا مـن الحـقّ العزيـ   يـز سـلاحا فاتكـا لـن يستطاعـا
فثـق أيّها الوطـن المفـدّى   بـأنّ لـك الضمـائر لـن تباعـا
فأيّـدها وناصـرها دوامـا   ومـدّ لعونهـا ذاك الـذّراعا
فـسل مـولاك يلـهمها رشـادا   ويكـشف عـن مشاكلـها القناعـا
فهـا إنّـا أولاء قـد ظعنّـا   وبارحنـا المنـازل والـضّياعا
فـدم جـذلا حباك الله عـزّا   وحيّـاك انفـرادا واجتمـاعا[4]

❁❁❁❁

نسل الفاتحين

أهـلا بنسـل الفـاتحين و مرحبـا   أنعشتـم عهـدا لنـا فاعشوشبا
بجهـادكم أحييـتم ذكـرى لهـم   فنـزلتم أعلـى المراتـب منصبا
لـولا بطـولتكم لَمـا أنقـذتمُ   قطـر الجزائـر شـرقه والمغربا
لـولا بطـولاتكم لَمـا قلّمـتمُ   للّبـوة الكبـرى الشّروس المِخْلبا[5]
لـولا ضحاياكم لَمـا استخلـصتمُ   بـالعنف منهـا للجزائـر مطلبا
لـو لم يكـن صبر عـلى الآلام مـا   نلتـم لـه منـهـا سـريعا مأربـا
قابلتـم عنفـا بعنـف مثلـه   حتّـى ارتوت بـدمائكم تلـك الربـى

---

[1] يراعي: اليراع القلم. وأصل البيت لعنترة بن شداد العبسي على هذا النحو: وسيفي كان في الهيجا طبيبا يداوي رأس من يشكو الصداعا

[2] مشاعا: عامًّا مشتركا.

[3] فإن لنا لباعا: الباع هو ما بين اليدين إذا مد الإنسان ذراعيه في مستوى كتفيه، ويقال للإنسان إذا كانت لديه معرفة وخبرة بشيء معين: فلا ن له باع في كذا.

[4] جذلا: مسرورا.

[5] قلّمتم: قصصتم. اللبوة: أنثى الأسد ويعني هنا فرنسا. المخلب: هو للحيوان كالظفر للإنسان.

حسبوا عرائنكم جحورا للضبا	ب وللذئاب و للظّبا[1]
لكنّهم وجدوا مغاور للنّمور وللأسو	د و ليس تأوي الأرنبا
صحّحتمُ لهمُ الحسابَ وهم دكا	ترة الحساب فكان منكم أصوبا
أنتم أساتذة لهم في فنّهم	في يومنا هذا فيا ما أعجبا

❁❁❁❁

محمّد الهادي السنوسي الزاهري

1320 – 1394 هـ (1902 – 1974 م)

هو محمّد الهادي بن علي بن محمّد بن العابد بن محمّد السنوسي الزاهري الحسني، ولد في ليشانة قرب بسكرة من عائلة شريفة. حفظ القرآن ونُبذا من شعر العرب على يد والده الذي كان متقنا حافظا للقرآن ذا حظ من علم محبا للعلم والعلماء. فبعثه صغيرا إلى قسنطينة حيث أصبح من تلاميذ الإمام عبد الحميد بن باديس ملازما له. وهمّ بالارتحال إلى مصر لكن حِيل بينه وبين ما أراد .

ثم أصبح نائبا عن جريدتي "الشهاب" و "المنتقد". ولأداء هذه المهمة أصبح يجول في القطر الجزائري كلّه . نشر فيهما من حين لآخر قصائد شعرية. ثمّ ساهم في بثّ العلم في كنف " جمعيّة العلماء المسلمين " . ومارس أيضا وظائف أخرى .

وكان له الفضل الوفير في النهضة الأدبية، حيث حثّ على النهوض بالشعر والأدب في الجزائر، عندما ألّف سنة 1346 هـ (1926م) و 1347 هـ (1927م) كتابا أدبيا ضم فيه من مختارات قصائد شعراء الجزائر المعاصرين له في جزءين سمّاه : " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " وطبع بمطبعة النهضة بتونس. توفّي بالجزائر العاصمة.

---

[1] عرائنكم : العرائن جمع عرين وهو مغارة الأسد.

لا تستسلموا

أبني الألى علموا وساروا في العلى كالشهب في أوج السماء صعودا
لا تيأسوا من رَوح ربّكمُ ولا تستسلموا إن سمتمُ تهديدا[1]
فلربّما عثر الزّمان فكان في شعب الجزائر يومه مشهودا
إنّ الزمان مطلسم وغيوبه ضمن الحوادث ردّدت ترديدا[2]
ذكرى بني حمّاد في أيّامهم وبني بجاية تبعث الملحودا[3]
وبني تلمسان الأجلّة إنّهم فوق السهى كانوا هناك قعودا[4]
ضربوا نطاقا حول كلّ فضيلة كانوا على جيد المكارم جيدا[5]
ربُّوا صغاركمُ على تاريخهم ذكراهم تشفي الفتى المفؤودا[6]
وتُريكمُ تلك العصورَ وأهلها وتريكمُ مجدا هناك مَجيدا
تاريخكم هو الذي يعطيكمُ درسا بليغا صالحا ومفيدا
فاستخرجوه ولا تقولوا قد عفى فالتبر تبر لا يحور حديدا[7]

وليس لنا إلا الجزائر موطن

دعا بك من قومي خيار شباب فلا تنأ عن داعي الهدى بجناب
ونادتك من عقر الدّيار مصونة يعزّ عليها أن تداس رحابي
تنفّس صبح العصر بالعلم وانبرى رجال به يطوون كلّ هضاب
فيا ويح من ينبو به الجدّ بينهم وكلّ بطيء لا غرابة ناب
تيقّظْ فها تلك الحوادث أقبلت تمدّ إلى أكبادنا برقاب
خذ العهد منّي وليَكُ الأمر بيننا ذهابك في نفع البلاد ذهابي
ونفسك في الإخلاص نفسي وفي الوغى ضرابك في وقت الطّعان ضرابي

---

[1]-الروح بفتح الراء: الرحمة.

[2]-مطلسم: لا يقدر أحد على التنبؤ به.

[3]-بنو حماد: هم ملوك القلعة وبجاية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي.

[4]-بني تلمسان: يعني بني زيان ملوك تلمسان. السهى: كوكب.

[5]-جيد: بكسر الجيم هو العنق.

[6]-المفؤود: مريض الفؤاد أي مريض القلب.

[7]-عفى: مُحِيَ. التبر: الذهب. يحور: يرجع.

ودرعــك صبر لـيس يبلـى تجلّدًا | و درعــيَ من بين الكماة إهابـي[1]
إذا كـــان همّـي هـو همّـك فلـيكن | عذابـــك في دور الكفـــاح عـذابي
وليـــس لنـا إلاّ الجزائـر مـوطن | ترابـك فيهــا واحـــد وترابـي
هـي الأمّ واسَتْ في الصبا كـلّ مرضع | وفيها اهتــدى الساعون سيل صواب
سأقضـي لهـا حـــقّ الأمومـة إنّهـا | بـــلادي التي فيها محطّ ركـــابي
هي الجنّـــة الفيحاء من قبـل نـشأتي | وإن كنـــت ظلمـــا نـازلا بيبـاب[2]
عـــروس تجلّـت في المحـاسن حقبـة | إلـــى أن تـوارى حسنــها بحجاب

❁❁❁❁

الثـائــر

دفعتْــهُ للآجـــام نفـسُ عـــصـــام | تأبـــى على الأحـــرار عـيش الذّام[3]
عافَ الحيـــاة على الهوان فثار في | عـــزم عليـــه يـــذود بالصمـــصـــام[4]
يـــا ثــــائرا لبّـــى إذ دعـــت | للـذبّ عـــن وطـــن نمـاه مُضـــام[5]
أعرضـت عـن دنيـا زخـارف جمّـة | ورميـت للهـــدف الرّفيـع الـسّامي
وشـبابك الغـــضّ النّضير منـازع | يدعـــوك نحـو الغِيد للإلمـــام[6]
ولَـــرُبّ باكيــــة وراءك أسـفرتْ | عـــن وجنـــة كـالورد في الأكمـام[7]
تدعـــوك يا أملي إليّ، فلـم تُـدِرْ | جِيـــــدا لفاتنـــــة مــــن الآرام[8]

و تركتهـا تحـسـو الأسـى في صبية | زغـب الحواصـــل صـرن كالأيتام
وذهبـت كالأســـد الغـضوب مولّيـا | وجهـــا لـصحب مـن كفـــاح دام
وصرخت في وجـه الخليلـة قـائلا : | المـــوت أولى بـي مـن استـسلامي
لا الأمّ تثنـيني وحـسبـــك إنّهـــا | أمّ ولا الأب أو ذوو الأرحـــــام

---

[1]-الكماة: الشجعان. إهابي: جِلْدي.
[2]-اليباب: المكان الذي لا أنيس بها.
[3]-الآجام: الغابات ويعني بالغابات هنا تلك التي كانت تحتضن قواعد المجاهدين. الذام: الذم.
[4]-الصمصام: السيف.
[5]-الذب: الدفاع. مضام: مظلوم.
[6]-الغض: الناعم الطري. النضير: البرّاق. الغيد: النساء.
[7]-أسفرت: كشفت.
[8]-الآرام: الغزلان.

ما صبيتي؟ ما عزّتي؟ إن لم أذد عنهم بخافق مهجتي وحسامي[1]
والغِيد والذهب المنير وكلّ ما حوت الدُّنا وهمٌ من الأوهام
أَربِي الجزائرُ أفتدي استقلالها فإذا استقلّت فالنعيم أمامي[2]
إذ ذاك أذهب في الجزائر مطلقا في مظهر الإعظام والإكرام
لا في الدّنية والصَّغار مسخّرا للظّالمين بموقد وزمان[3]

وللوطنية حق

لنا وطن يؤلفنا جميعا إذا ما الخطب أقبل منه جند
وهل لكمُ كموطنكم - إذا ما فهمتم ما أردت - أب وجدّ
هو الوطن الذي يحنو علينا ولا يسمو لنا بسواه جدّ
وللوطنيّة العلياء حقّ فمن وفّى بها وافاه مجد
جنان يانعات الزهر خُضر وأطيار على الأفنان تشدو
وحُورٌ قاصراتُ الطَّرْف عِينٌ لمن قُدِحتْ له في البرّ زنْدُ[4]

❁❁❁❁

محمّد العيد آل خليفة

1322 – 1400 هـ (1904 – 1979 م)

هو محمّد العيد علي آل خليفة. ولد بعين البيضاء ونشأ فيها، فحفظ القرآن وتلقّى مبادئ اللغة العربية، ثم انتقلت أسرته إلى بسكرة، حيث تابع التّعليم على بعض علمائها الأجلاء، ثمّ غادر بسكرة وهو ما يزال فتى يافعا إلى جامع

1-أذد: أدافع: مهجتي: نفسي. حسام: سيف.
2-أربي: حاجتي وهدفي.
3-الصَّغار: الذل.
4-حور: جمع حوراء وهي الجميلة العينين. قاصرات الطرف: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن. قدحت له في البر زند: يعني أن النساء التي وصف هن جائزة في الجنة لمن أشعل نار الحرب على الاستعمار.

الزّيتونة واستزاد في العلم ومكث سنتين يدرس ثم اضطرّ للرّجوع إلى بسكرة بعد مرض ألمّ به.

شرع ينشر بعض قصائده في صحف مختلفة. وفي عام 1346 هـ (1927 م) عيّن مديرا لمدرسة الشّبيبة بالعاصمة. ثمّ انخرط في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وصار من أبرز أعضائها.

اعتقل أثناء الثّورة وخضع للإقامة الجبرية في بسكرة حتّى يوم الإستقلال.

تعاطى محمّد العيد الشّعر منذ صباه وهو شاعر مُجيد من بين الشعراء النّابغين.

له ديوان ثرّ (طبع ثلاث مرّات) يعدّ سجلا صادقا لأحداث عصره وتاريخ بلاده.

❁❁❁❁

صوت جيش التحرير

نحن جيش التحرير جند النّضال   نحن أُسْدُ الفدا نمور النّزال
دمدم الطّبل للنّفير فثرنا   وهززنا البلاد كالزّلزال[1]
واتّخذنا من الجبال قلاعا   نقرع السّمع بالصّدى كالجبال
واقتحمنا الهيجاء نارا تلظّى   كلّ حال منا بها لا يبالي[2]
وقبرنا استعمارهم و فككنا   شعبنا من سلاسل الأغلال
فاسألوهم عن رفقنا بالأسارى   واحترام النّساء والأطفال

[1]-دمدم: قُرِعَ فصوّتَ. النفير: إعلان الحرب والدعاء إليها والجيش أيضا.
[2]-الهيجاء: الحرب.

و اسألــوهم عــن رعينــا للمبـادي ووفـــاء العهــود بالأفعـــال

أيّهـا الـشّعب إنّنا عنـك ذدنـا فظفــرنا بــأنفَس الأنفـــال[1]

كلّنـــا إخــوة في الدّيـــن والأر ض اشتركنـــا في أشــرف الأعمـــال

كلّنـــا شــعب وحــدة واعتــصام لـيس نرضـــى بأرضـنا بانفـصال

خيّــب الله كـــلّ مــن كـاد للشّـــعب بفَصْم العُــرَى وقطع الحبـال[2]

❁❁❁❁

أنا بنت الجــزائر

أنــا بنـت الجــزائر اليـوم أقـضي حــقّ أمّـي لخـدمتي باجتهـــاد

قـــد غــذتني بــدَرّها مــذ نَمَتْـــني و رعتنـــي ببرّهـــا المـــزداد[3]

و ابتغــت نجدتـــي فمــا قمت إلا بقليــــل مــن واجــب الإنجـــاد

كيـف أنسى قـومي و موطــن قـومي كيـــف أنــسى عروبــتي أو ضـادي[4]

كيــــف أنـــسى ربّـــي وقــرآن ربّــي ونبيّـــــي وملّتـــــي و ودادي[5]

كيـف أنــسى شـعبي وتـاريخ شـعبي وابـــن شـعبي و مالـه مـن أيــادي[6]

كيــف أنــسى مجـد الجزائـر قِـدما كيـــف أنــسى سائــر الأجــداد

لـست أنـــسى مفاخــري فــاطمئني و ثقـــي بـي في ثــورتي يـا بــلادي

❁❁❁❁

يوم الاستقلال

قـــد ذهبنـــا إلى الميــدان نغــزو و رجعـــنا منهـــا بالاستقــــلال

فارتفـــع عاليـــا و رفــرف علينـــا خالـــد العزّ يـا لــواء الهـــلال[7]

---

[1]-ذدنا: دافعنا. أنفَس الأنفال: أغلى الغنائم.

[2]-فصم العُرى: تمزيق الوحدة.

[3]-درها: الدر بفتح الدال وتشديدها هو اللبن.

[4]-ضادي: لغتي يعني لغة الضاد وهي اللغة العربية.

[5]-ملتي: ديني.

[6]-أيادي: نِعَم.

[7]-لواء الهلال: راية الجزائر.

قـــد ركَزنـــاك في القلـــوب لتبقـــى ومنحنـــاك بالفـــدا كـــلّ غـــال
كـــان يـــوم الاســـتقلال عيـــد شـــعب طافـــح البـــشر ســـافح الأذيـــال
فالـــــزغاريد والهتافـــات تُعْلـــى بـــين قـــرع الطّبـــول والأزجـــال[1]
والأنـــاشيد في الميـــادين تُتلـــى مـــن نســـاء وصـــبية ورجـــال
قـــد رفعنـــا الهامـــات بالنـــصر فيهـــا وشكـــرنا لربّنـــا المتعـــالي[2]

❁❁❁❁

وقفـة على قبـور الشهـداء

رحـــم الله معـــشر الـــشهداء وجـــزاهم عنّـــا كـــريم الجـــزاء
وسقـــى بـــالنعيم منهـــم ترابـــا مـــستطـــابا معطّـــر الأرجـــاء
هـــذه في الثّـــرى قبـــور حـَوَتْهم أم قـــصور تـــسمو علـــى الجـــوزاء[3]
أيّـــها الزّائـــرون ســـاحة طهـــر قـــدُسيّ وعـــزّة قعـــساء[4]
شهـــداء التّمـــدين في كـــلّ عـــصر سُـــرُج الأرض بـــل نجـــوم الـــسماء[5]
لم أجـــد في الرّجـــال أعلـــى وســـاما مـــن شهيـــد مخـــضّب بالدّمـــاء[6]
إنّ ذكـــرى الـــشّهيد أرفـــع مـــن أن تعرفوهـــا بالـــصّخـــرة الـــصّمـــاء
فأقيمـــوا لهـــم تماثيـــل عـــزّ في قلـــوب ثوريّـــة الأهـــواء
واقتـــدوا وأتَـــسُوا بهـــم في المـــزايا إنّهـــم أهـــل قـــدوة واتّـــساء[7]
واخلفـــوهم بالـــصّدق في خـــدمة الـــشّعـــب وفي أهلـــهم وفي الأبـــناء
إنّهـــم قـــادة الفيـــالق في الزّحـــف لخـــوض المعـــارك الحمـــراء
إنّهـــم رادة البطـــولة في النّـــصر وعـــزّ الحمـــى ورفـــع اللّـــواء[8]
إنّهـــم أوفـــوا العهـــود فهـــل أنـــتم لميثاقهـــم مـــن الأوفيـــاء؟

1-الأزجال: الشّعْر.
2-الهامات: الرؤوس.
3-الجوزاء: كوكب.
4-عزة قعساء: قديمة وقوية.
5-سُرُج: جمع سِراج.
6-مخضّب: مغطى.
7-وأتَسُوا: اجعلوهم مثالا ونموذجا. اتساء: قدوة.
8-رادة: جمع رائد وهو الذي يتقدم قومه.

إنّمـــا تربـــة الجـــزائر مهـــد عبقـــريّ لثـــورة العظمـــاء
وهـــي أرض الإسـلام ذي المبدإ الـسّمـــح وأرض العـــروبة العربـــاء
هكـــذا كـــانت الجـــزائر ميعـــا دا كريـــما لأقـــدس الأحيـــاء
تتعـــالى منـــاور الحـــقّ فيهـــا مـــن بعيـــد لخائـــضـــي الظّلمـــاء[1]
ثـــورة الـــشّعـــر أنتجـــت ثـــورة الـــشّعـــب وعـــادت عليـــــه بـــالآلاء[2]
كـــلّ مـــن لم يثـــر علـــى الهُـــونِ و الذّلـــة داستـــه أرجـــل الأقويـــاء
أيّـــها الـــشّعب أنـــت ملـــهم شـــعري في كفاحـــي وملـــهب الأحـــشـــاء
أيـــن منّـــا مـــا ســـاءنا مـــن عـــذاب أيـــن منّـــا مـــا ســـاءنا مـــن شقـــاء
جـــلّ مـــن أخـــضـــع الطّغـــاة فـــذلّوا و عليهـــم قـــضى بحكـــم الجـــلاء
أصبحـــت أرضـــنا مثـــالا مـــن الفـــرْ دوس في أمـــن شـــعبها والهنـــاء[3]

❖❖❖❖

عبد الله أبـو عنان

1328 – 1417 هـ (1910 – 1996 م)

هو عبد الله بن أحمد أبو عنان . ولـد بتلمسان حيث تعلّم مبادئ اللّغة العربية ثمّ تتلمذ على يد الشيخ البشير الإبراهيمي ولازمه منذ وصوله إلى تلمسان سنة 1932 وأخذ عنه حظّا وفيرا من القرآن الكريم والأحاديث النبويّة والعلوم اللّغوية والآداب. وكـان ملازما لـه إلى درجة أنّ الشيخ البشير الإبراهيمي كان يسمّيه "ابني عبد الله"، وحثّه على قرض الشّعر لينمّي فيه موهبته الشعرية كما كان يفعل الشيخ ابن باديس مع تلامذته بقسنطينة .

كان أبو عنان في بداية عمره تاجرا بسيطا ثمّ أصبح سنة 1943 من أوائل المعلّمين "بدار الحديث". ولما أوقف نشاط هذه المدرسة سنة 1956، فتح منزله

1-مناور: جمع منارة.

2-الآلاء: النِّعَم.

3-الفردوس: الجنة.

لتعليم أبناء تلمسان. وواصل التدريس بعد الاستقلال إلى غاية سنة 1975 أستاذا للّغة العربية في ثانوية "مليحة حمّيدو" في تلمسان .

له ديوان شعر ثري.

❁❁❁❁

الشهيدة مليحة حميدو

فتـــاة تلمـــسان ذا معهـــدي ينـاديـــك للمجـــد والـــسؤدد
وبالعلـــم يهـديك كـي تـسعدي بدنيـــاك دومـــا لخـــير غـــد

❁❁❁❁

فكـــوني مـــثلا لأسمـــى فتـــاة أعـــادت لقومـــي مجـــد الأبـــاة[1]
"مليحـــة حميـــدو" فخـــر البنـــات ومـــن لقّنتهـــا فـــدا المفتـــدي

وكونـــي شـــعارا لِخُلُـــقٍ كـــريم ورأي رزيـــن وعقـــل حكيـــم
وعلـــم مفيـــد وجـــسم ســـليم وقلـــن تبـــاركت يـــا معهـــدي

❁❁❁❁

فبالخُلُـــق تـــسمو وتعلـــو الهمـــم وبالعلـــم ترقـــى عقـــول الأمـــم
وبالـــرّأي تـــسهل كـــلّ الـــنّقم فهـــذي ســـبيل العـــلا فاصـــعدي

❁❁❁❁

فهـــذي الجزائـــر قـــد شـــيّدت معـــاهد بـــالعلم قـــد أينعـــت
وهـــذي تلمـــسان قـــد جـــدّدت زمـــان ابـــن مرزوقـــها الأمجـــد[2]

---

[1]-الأباة: الذين يرفضون الظلم.

[2]-ابن مرزوق : عُرِف بهذا الإسم مجموعة من علماء تلمسان كلهم من أسرة واحدة ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي وهم: ابن مرزوق الجد، ابن مرزوق الأوسط، ابن مرزوق الحفيد، ابن مرزوق الكفيف.

صالح خرفي

(1351- 1419)هـ (1932 – 1998) م

هو صالح بن صالح خرفي . ولد بالقرارة بوادي ميزاب من نواحي غرداية. درس بمعهد الحياة بالجزائر ثمّ «بجامع الزّيتونة» و «الخلدونية» وأخيرا بكلّية الآداب بالقاهرة، حيث تخرّج منها بشهادة ماجستير سنة (1961) ثمّ دكتوراه بمرتبة الشّرف الأولى (1970).

وبعد ذلك أصبح أستاذا للأدب الجزائري الحديث بجامعة الجزائر من 1964 إلى 1976. وكان كذلك رئيس تحرير مجلّة "الثقافة " ثمّ انتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربيّة بدمشق سنة 1986 .

له شعر ممتاز، وكان يتعاطى الشّعر الحرّ إلى جانب المقفّى. جمع شعره في ديوان. ومن مؤلّفاته "الشّعر الجزائري" (القاهرة 1970) و " محمّد العيد آل خليفة " الجزائر (1986).

❁❁❁❁

الشعب أدرك ثأره

(ناصرَ الدّين)[1] عد لشعب مظفّرْ   لِفَتَاها تطلّعتْ (أمُّ عَسكر)[2]
اسمك الحرّ يعتلي كلّ منبر   هلّل الشعب يوم لحت وكبّر[3]
عد يظلّك خافق النّصر أخضر   وضريح يأويك حرّ معطّر[4]
أرضك اليوم في أعزّ جناب
عد إلينا فدتك نفس أبيّة   أرضك اليوم أصبحت عربيّة[5]
لك نشوى بين القلوب الوفيّة   حرّرتْ أرضها بكأس المنيّة
وسقتها من الدماء السّخية   هل لنا منك طلعة هاشميّة

---

[1]-لقب الأمير عبد القادر

[2]-مدينة معسكر كانت عاصمة دولة الأمير عبد القادر

[3]-هلّل: قال لا إله إلا الله.

[4]-خافق النصر أخضر: راية الجزائر.

[5]-أبية : ترفض الظلم.

بعـــــد مـــــرّ النـــــوى وطـــــول الغيـــــاب[1]

(ناصـرَ الـدّين) أدركَ الـشعبُ ثـارا وأطـلّ اسمـك الأعـــزّ منـارا[2]

كـم أزحنـا عنـه بالفخـــر ستارا واسم بيجـو[3] عـن العيـون تـوارى

دمت نورا يهدي النّفوس الحيارى طبت روحـا وطبت قبرا مزارا

لم يـــزل روضـــه محـــطّ الركـــاب

في انتظار الحبيب المجاهد

يا حبيبي ذكريات الأمس لم تبرح خيالـي

كيف تغفو مقلتي عن حبّنا عبر الليالـي[4]

لا تلمني إن ترامت بي أمواج البعـاد

لا تلمني لم يزل يخفـق للحبّ فؤادي

غير أنّ القلب هزّتـه نداءات شجيّـة

صعّدتها في دجى اللّيل قلـوب عربية

وتراءت لي وراء الصـوت أعلام البشائر

فوهبت الحبّ قربانا وبايعت الجـزائر

❁❁❁❁

يا حبيبي لم أخن عهدي و لا خنت هـوايا

غير أنّ الحبّ أمسى ثـورة بين الحنايا

لك حبّي يوم تعلو بسمة النّصـر ثرانا

ويذيب اللّيـلَ والآلامَ بحـرٌ من دمانا

لك حبّي في ذرى الأطلس في تلك الرّوابـي

---

[1] -النوى : البعد.

[2] -ثارا : الثأر هو أن يقتل الإنسان من قتل له شخصا عزيزا عليه.

[3] -الجنرال الفرنسي الذي جاهده الأمير عبد القادر

[4] -مقلتي : عيني.

فهناك الأفق الرّحب لأحـــلام الشباب

سوف ألقاك مع النّصـــر وأفراح البشائر

❁❁❁❁

يا نـــوفمبـــر

بايعـت مـن بـين الـشهـور" نـوفمبرا" ورفعتـه مـن بيـــن شعبي منـبرا

شـهر المواقـف والبطـولة قـف بنـا في مـسمـع الـدنيا وسجّـــل للـورى

فلأنـت مطلـع فجـرنا وزنـاد بُـرْ كـان أثـرت كَمِينَــه فتفجّــرا[1]

دوّت بمطلعـك الخـصيب رصـاصة فـاهتزّت (البيضاء) وانتـشت الـذرى

وانــداح فجـرك عـن مـصبّ مـن دم الأحـرار فانتعـش الجـديب وأزهـــرا[2]

خبّـأت معجـزة، تمخّـض ليلـك الـدا جـي بهـا، والأرض في سِنة الكَـرى[3]

يـا وثبـة الأحـرار منـا يـا نفمبر لـمـا تـزل علمـا لقافـيـة الـسرى[4]

قُدِّسـتَ، فيـك النـار تلتهم الـدّجى فتحيـل ظلمـته لهيبـا أحمـــرا

قدّسـتَ، فيـك الدّمــع جـفّ بمقلـة أغفـت لتكتحـل الـصباح المسفـرا[5]

قدّسـت، فيـك المـوت مفتخـرا بمـن يعلـو المفاصـل كـي يتيـه ويفخــرا

والـشيب خـضب بالـدماء فمـا احتفى بـالعمر صـوّح نبتـه أم أزهــرا[6]

والطفـل يلفـظ بالطـوى أنفاسـه ثـدياه خيطـا بالرصـاص ومــن درى[7]

قدّسـت، فيـك الـشّاهقـات ثلوجهـا وصخـورها وأقمـت منهـا المـشعرا

❁❁❁❁

---

[1]-كمينَهُ : ما كان غير ظاهر منه.

[2]-انداح : امتد. الجديب : الذي لا نبات فيه.

[3]-سِنة : نوم. الكرى : النعاس.

[4]-قافية : الحرف الأخير من القصيدة. السرى : المشي بالليل.

[5]-المقلة : العين.

[6]-صوّح نبته : ذبُل نباته.

[7]-الطوى : الجوع.

سنعيد ذكرى القادسية

يا من على الصحراء سال لعابهم كم موردا فيها سلوا هل أصدرا

أقسمت بالرّمضاء فيها بالريا ح الهوج تنتحل الجديب المقفرا[1]

بالنّاقة الوجناء فيها لم تزل عربيّة الخطوات شامخة الذرا[2]

أقسمت بالصحراء مهدا لانبثاق الوحي نقّاها "حراء" وطهّرا[3]

بالخيمة السوداء بالليل الأنيس فنارها ما انفكّ طائيّ القِرى[4]

بالنّفط في الصحرا عشقت سوداه الداجي وعِفْتُ به النُّضارَ الأصفرا[5]

بالذّرة الرّعناء أقْعَدَ راجِلا إشعاعُها المُودِي وأعمى مبصرا[6]

سنعيد ذكرى "القادسية" للنّهى تهوي بكسرى أو تطيح بقيصرا[7]

إن كنتم تجّار حرب إنّ من أجدادنا من باع فيها واشترى

فرسان حَوْمَتِها ونِضْوُ صهواتها كم أسرجت بابن الوليد وعنترا[8] !

❁❁❁❁

جميلة بوحيرد

جميلة تصلي..

لن تموتي يا جميله !

قالها الناس ولم أقلها يا جميله..

أملي أن تستريحي يا جميله،

فالردى في وهج القسوة أنسام عليله[9]

---

[1] -الرمضاء: الأرض الحارة. الهوج: القوية. تنتحل: تردّه نحيلا أي هزيلا لا نبات فيه. الجديب: هو الذي لا نبات فيه أصلا. المقفر: الذي لا أنيس به.

[2] -الوجناء: العظيمة الوجنتين أي القوية.

[3] -حراء: الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل مجيء جبريل إليه.

[4] -طائيّ القِرى: كريم المعاملى للضيوف، وطائي نسبة إلى حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم.

[5] -الذهب.

[6] -الرعناء: الحمقاء. المودي: المميت.

[7] -القادسية: معركة جرت في العراق سنة 16هـ بين المسلمين والفُرْس. كسرى: لقب ملوك الفُرْس. قيصر: لقب ملوك الروم.

[8] -نضو صهواتها: ملازم لظهور الخيل. ابن الوليد: خالد بن الوليد رضي الله عنه. عنترا: عنترة بن شداد العبسي.

[9] -الردى: الموت. أنسام عليلة: هواء لطيف.

احقني بها دمع يتامى شردوهم يا جميله
و دما حرا بريئا مزج الغدر سيوله
صوِّحي يا زهرة العز ذوبي كالفتيله
إن في تصويحك المأمول إيراقَ الخميله
إن في نورك إشعاعا يرى الشعب سبيله
أي موت لم يذيقوك أساه، أي حيله؟!
ما هو الموت و قد جرعته دنيا طويله؟
أهو الغفوة في نومة عز مستطيله؟
أهو اليقظة في خلد كأحلام الطفوله؟
أهو الهزة تهوي بالتماثيل الدخيله؟
أهو النشوة تسري في شرايين الفضيله؟
إن يكن موتك هذا، فاطلبيه يا جميله
أتعيشين لمجد أنتِ جررت ذيوله؟
أتعيشين لنصر أنت ذكراه الجميله؟
أنا أدرى الناس كم تَهْوَينَ موتا يا جميله
كم طلبت الموت، كم منَّيتِه غدرا فحيله
غير أن الموت له أحيانا كف بخيله..

صدى الثورة الجزائرية في الشعر العربي

إن الثورة الجزائرية من أكبر الثورات العربية التي حفزت وجدان المبدعين العرب مشرقا ومغربا، وفجرت أعماقهم، واستقطبت اهتمامهم، فاستلهموا أحداثها في الكثير من إبداعاتهم.

ويبدو أن حضور الثورة الجزائرية قد تجسد في الشعر العربي من خلال رموز معينة كالأشخاص والمدن والمعالم.

أما المدن فكمدينة وهران والمعالم فكجبال الأطلس ونحوها.

وكانت مدينة وهران حاضرة في شعر رائد الشعر الحر الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، فنظم قصيدة هي من أكثر شعره اكتظاظا بالصور والأخيلة خلّد فيها أنموذج الجهاد الجزائري وتحسّر فيها على المشرق العربي الذي لا يثور كما تثور وهران.

تحمل هذه القصيدة عنوان "رسالة من مقبرة " وفيها يمجد ثورة الجزائر، ويتصور نفسه في داخل الكهف (القبر) وهو يصيح، رامزا بذلك لإنسان المشرق العربي الذي تغير كل شيء في حاضره حتى صح أن يسمى عالمه قبرا، فالنور فيه دجى، والشمس كرة جامدة، والدود ينخر تلك الكرة، والناس في هذا الكهف إما جائعون: يطلبون من صاحب ذلك القبر "رطلا من لحمه الحي"، وإما أشقياء: يريدون ضياء من مقلتيه، وإما جواسيس: يحذرونه من الصعود إلى الجلجلة ومن صخرة سيزيف.

ولكنه رغم كل ذلك لا يزال يسمع أصواتا مدوية من خارج الكهف تجيء

من عالم الشمس، وتنحدر إليه أصداؤها الملونة وتنسكب في فوهة القبر، فيتفاعل باقتراب مخاض "الرحم" الأرضي، لا بد أن يأتي القبورَ مخاضٌ تقذف فيه موتاها، وتبعثها حية من جديد؛ إن سيزيف "وهران" قد ثار وخرج إلى الشمس، ولكن ها هنا "وهران" أخرى (في المشرق) لا تثور:

آه لوهران التي لا تثور!

وهي قصيدة أقرب إلى العفوية منها إلى التكلف، ونموذج للتناتج الطبيعي بين المقدمة والخاتمة. كما أنها تمتاز بالتلاحم القوي والتدرج المحكم في المدى القصير، فهي لا تكلف القارئ شيئا من جهد لاستيعابها.

وللسياب قصيدة أخرى في تمجيد الثورة الجزائرية يصف فيها الثورة القادمة من المغرب العربي وقصيدة أيضا في جميلة بوحيرد.

وقد بلغ بالسياب إعجابه بالثورة الجزائرية مبلغا جعله يأخذ على صديق له عدم كتابته دائما عن ثورة نوفمبر كما يعاتب نفسه في ذلك حيث يقول: "وأين صوت الشاعر المبدع الأستاذ علي الحلي؟ أبدلا من قصائده المتأججة بالنار عن الجزائر وعن ثورة الشعب العربي في كل مكان صرنا نقرأ عشرين قصيدة من برلين و51 قصيدة وسواهما من الدواوين الحمراء السخيفة؟ كما أنني أنا نفسي لم أكتب خلال هذه الفترة سوى قصيدة واحدة عن البطلة العربية جميلة بوحيرد؟ ".

أما الأشخاص فإن أكثرهم حضورا في الشعر العربي المتفاعل مع الثورة الجزائرية هي البطلة الأسطورة « جميلة بوحيرد » ولذلك نجد قصتها وصمودها وتحديها للاستعمار وزبانيته هي أكثر ما استهوى الشعراء العرب الذين كتبوا عن الثورة التحريرية.

وعدا عن قصيدة نزار قباني الشهيرة التي نظمها حول جهاد ومعاناة الشعب الجزائري أثناء الثورة من خلال مأساة جميلة بوحيرد، نجد كما هائلا من القصائد

لشعراء عرب آخرين، بل نجد أيضا مسرحية شعرية غاية في الروعة للشاعر المصري الكبير عبد الرحمن الشرقاوي.

وقد كتب مُواطنُه كامل الشناوي أيضا مسرحية شعرية في نفس الموضوع عنوانها« جميلة » تصور بطولة المرأة في كفاحها من أجل تحرير الجزائر، استحضر الشاعر فيها شخصية « جميلة، بوحيرد وأبرز بشاعة التعذيب الذي لقيته حتى تبوح باسم قائد الفدائيين، ورغم أن القائد يرسل إليها رسالة يطلب فيها أن تبوح باسمه لأن الفرنسيين لا يعرفونه ولن يهتدوا إليه، إلا أنها ترفض الرضوخ لمطلب جلاديها وتفضل الصمود والتحدي، وتختتم الأوبريت بحوار رائق بين « جميلة» وقائدها « باسل» إذ تتصوره أمامها يحدثها وتحدثه .

وللأديب الجزائري خرفي صالح أيضا مسرحية شعرية نثرية عنوانها: « حنين إلى الجبل » وهي مسرحية مقاومة، تصور في أربعة فصول - بأسلوب أدبي يمزج بين بلاغة النثر وسحر الشعر- تضحيات وبطولات الشعب الجزائري خلال الثورة التحريرية. كتبت هذه المسرحية حسب إفادة المؤلف نفسه في سنة 1957 وعرضت ضمن النشاط المسرحي للطلبة الجزائريين بتونس.

ولا غرو أن يركز أكثر الإنتاج الشعري العربي على جميلة، فهي « شابة عزلاء، ثبتت للمحن والأرزاء بعزيمة وتحمل لكل ما افتنّ فيه السجانون من وحشية وقسوة، وهي بعد في ربيع العمر ونضارة الزهر، فأذلت بثباتها، وقوة يقينها وحبها لوطنها أعداء الحرية، وكانت رمزا للفتاة العربية المسلمة في جَلَدها وإيمانها وتضحيتها حتى صار ذكرها على كل لسان مثلا شرودا في البطولة والفداء.

أما مسرحية «مأساة جميلة» للكاتب عبد الرحمن الشرقاوي، فهي مسرحية من الشعر الحر كتبت ونشرت نصا عام 1961، قبل أن يتم عرضها من قبل فرقة المسرح القومي المصري في موسم 1962 وهي من إخراج الفنان « حمدي غيث »، حيث « تصور المسرحية مأساة البطلة الجزائرية جميلة بوحيرد، وتروي كيف

اعتقلها الفرنسيون بعد أن أمسكوا بها، وهي تشترك اشتراكا فعليا في النضال الجزائري المسلح، ثم تروي قصة تعذيبها بقصد إرغامها على كشف أسرار زملاء النضال، ولكنها ترفض ذلك كل الرفض، ثم تروي القصة حكاية محاكمة جميلة، وكيف كانت صامدة كل الصمود في المحكمة.

إن غزارة الأعمال الأدبية العربية المتفاعلة مع الثورة الجزائرية" ترجع إلى الانفعال بأحداث ثورة الفاتح من نوفمبر وبطولة شعبها وفدائية مجاهديه، والاستجابة للمد القومي والعالمي المناصر للثورة والمنادي بمؤازرتها ماديا ومعنويا، فقد كان صدر كل عربي يخفق باسم جزائر الثورة ويمجد شهداءها ويشجب أعداءها، بدءا من المستعمر الفرنسي نفسه حتى دول حلف الأطلنطي التي تقف خلفه.

إن رمزية الثورة الجزائرية مجسدا في شخصية « جميلة بوحيرد »، له حضور كبير في الأدب العربي مشرقا ومغربا، ففي كتاب « ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر» نحصي 13 قصيدة شعرية من وحي جميلة بوحيرد لشعراء مصريين كبار أمثال: صلاح عبد الصبور في «جميلة علم وهران » وعبد الرحمن الشرقاوي في «فلتعيشي يا جميلة » وعبد القادر حميدة في رسالة ..جميلة » ومحمد الجيار في «رسالة إلى جميلة » ومحمود الخفيف في «جان دارك العرب/جميلة بوحيرد» ومحمود حسن إسماعيل في « زهرة من عذاب»..وغيرهم، كما نجد أشعارا ملحمية ودرامية مثل « أوبريت جميلة » للشاعر كامل الشناوي، و«مذكرات جميلة ((لمحمد، الجيار.

مسرحية مأساة جميلة

ترجمة المؤلف

هو عبد الرحمن الشرقاوي: شاعر وأديب وصحفي وروائي مصري. ولد في 10 نوفمبر 1920م بقرية الدلاتون محافظة المنوفية شمال القاهرة. بدأ تعليمه في كتاب القرية، ثم انتقل إلى المدارس الحكومية حتى تخرج من كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول عام 1943م.

بدأ حياته العملية بالمحاماة، ولكنه هجرها لأنه أراد أن يصبح كاتبا، فعمل في الصحافة في مجلة الطليعة في البداية، ثم مجلة الفجر. وعمل بعد ثورة 23 يوليو في صحيفة الشعب ثم صحيفة الجمهورية، ثم شغل منصب رئيس تحرير روز اليوسف. عمل بعدها في جريدة الأهرام.

كما تولى عددا من المناصب الأخرى منها سكرتير منظمة التضامن الآسيوي الأفريقي وأمانة المجلس الأعلى للفنون والآداب.

رواياته: الأرض عام 1954، وقلوب خالية عام 1956م، ثم الشوارع الخلفية عام 1958م، وأخيرا الفلاح عام 1967م.

تأثر عبد الرحمن الشرقاوي بالحياة الريفية، وكانت القرية المصرية هي مصدر إلهامه، وانعكس ذلك على أول رواياته" الأرض" التي تعد أول تجسيد واقعي معروف في الإبداع الأدبي العربي الحديث، هذه الرواية تحولت إلى فيلم سينمائي شهير بنفس الاسم من إخراج يوسف شاهين عام 1970م.

من أشهر أعماله مسرحية الحسين ثائراً، ومسرحية الحسين شهيدا، ومسرحية الفتى مهران، والنسر الأحمر، وأحمد عرابي.

أما في مجال التراجم الإسلامية فقد كتب" محمد رسول الحرية"، و"علي إمام المتقين"، و"الفاروق عمر". كما شارك في سيناريو فيلم الرسالة بالاشتراك مع توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار.

حصل عبد الرحمن الشرقاوي على جائزة الدولة التقديرية للآداب في مصر عام 1974 التي منحها له الرئيس السادات، كما منحه معها وسام الآداب والفنون من الطبقة الأولى.

توفي الشاعر والأديب والصحافي والمفكر الإسلامي عبد الرحمن الشرقاوي في 10 نوفمبر عام 1987م.

أما مأساة جميلة فهي مسرحية شعرية كتبها عن المجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد.

*****

اختصار النص

المنظر الأول من الفصل الأول

تنكشف الستارة على« شارع في حي القصبة بمدينة الجزائر... الحي يبدو متدرجا كالسلالم ملتويا، مليئا بالدروب الجانبية... في أقصى المسرح - في الصدر- يبدو المدخل... حيث تظهر في الأفق أبراج قلعة برباروسة: السجن الكبير... في الشارع دكان مغلق... وبيوت لم تفتح أبوابها بعد... وفي مقدمة المسرح يبدو من على اليمين جزء من مقهى أحمد المصري... باب المقهى مغلق أيضا... إذ نحن ما نزال نستقبل أول شعاع من الفجر... الشعاع يملأ المسرح رويدا رويدا.. في الشارع.. على باب المقهى.. يقف رجل شبه ملثم في ثياب وطنية وهو يقرع الباب المغلق..الرجل هو مصطفى بوحريد. كهل في نحو الخمسين.

ومن خلال الحوار الذي يجري داخل سرداب مقهى أحمد المصري نكتشف أن

المنظر يصور اجتماعا سريا لخلية من المجاهدين فنرى كلا من عمار وخطيبته هند وأمينة وأحمد يناقشون الأوضاع ثم يلتحق بهم مصطفى بوحيرد عم جميلة والمسؤول عن الفوج الثوري في الحي والعائد من الجبل لتوه، فنعلم من تحاورهم أن الجماعة مجتمعة لتنظيم إضراب الغد وأن الزعماء الخمسة قادة الثورة قد اختطفتهم القوات الاستعمارية والتي قتلت أيضا الآلاف من الأبرياء الجزائريين، ولمواجهة تشاؤم عمار يتولى «مصطفى» تشجيع رفاقه وحثهم على الثبات، هذا على الرغم من أن موازين القوى العسكرية هي لصالح المستعمر إذ أن الثوار يجهلون مصير باخرة الأسلحة التي أرسلتها مصر في حين يعلم الجميع أن حلف الأطلنطي قد زود الجيش الفرنسي في الجزائر بشحنة هائلة من الأسلحة، فيقرر الثوار نسف القطار الحامل للشحنة في موضعها وقبل نهاية الاجتماع تقترح أمينة على مصطفى ضم جميلة إلى الخلية الثورية، لكنه يرجئ ذلك إلى يوم آخر ثم ينفض الاجتماع ويتسلل الثوار مع طلائع الصبح مغادرين السرداب الواقع داخل حائط سري بمقهى أحمد المصري.

المنظر الثاني من الفصل الأول

الشارع السابق نفسه بعد مرور ساعات النهار، تدب الحركة، وبينما يحمل «أحمد المصري» شايا إلى «مصطفى بوحيرد» في دكانه لبيع القماش ويقعد معه، يظهر « هارون « الجاسوس اليهودي وهو جالس في المقهى متظاهرا بقراءة الجريدة بينما جوارحه مركزة على التلصص والتنصت لالتقاط أخبار الثورة والثوار وترويج الإشاعات، كما يكشف لنا المنظر شخصية « مبروك » الذي يظهر في صورة عامل يلصق إعلانات كتب عليها بالفرنسية والعربية »: مكافأة مليون فرنك لمن يقبض أو يساعد في القبض على جاسر : قائد الإرهابيين« ، إنه يقوم بإلصاق الإعلانات على الجدران وهو تحت حراسة « جان » الشاويش الفرنسي وهو رجل تبدو عليه الطيبة التي يخالطها الضجر، فقد كان يعمل سجانا في « بربروسة » قبل أن يمل مهنته ويتحول إلى شاويش

يشرف على إلصاق الإعلانات ويحلم في الوقت ذاته بالرحيل فلا يتورع عن البوح باغترابه لمبروك، فيقول

جان : أما أنا فلسوف أرحلْ، لا محالة سوف أرحلْ

فأنا غريب ها هنا، مهما أُقِمْ فأنا غريبْ !

ويكاد يفتك بي هنا السأم[1] العقيمْ

ويَغِيضُ[2] رونقُ عُمْرِيَ المنبوذِ في ندم عظيمْ

مبروك: عجبا ...أتعرف ما الندمْ ؟؟

جان: لم لا؟ أتحسب أن قلبي قُدَّ[3] من صخر أصمْ؟

قد كنتُ سجانا فهزَّتْني البشاعة في السجونْ

ونقلتُ للسجن الكبيرْ

أنظرْ هناك... ألا تراه؟؟ أوَ لا ترى أبراجَه الصمّاء؟؟

مبروك : تعني بربروسة؟

جان مستمرا: ورَجَوْتُهمْ أن ينقلوني فاستجابوا للرجاءْ

وإذا كانت شكوك « مصطفى » و« أحمد « تنصب على معرفة سر شخصية «هارون» فإن شكوك هذا الأخير تنصب على معرفة أسرار شخصية » مبروك « حيث يكشف لنا المنظر أنه هو ذاته « جاسر » قائد الثوار في منطقة الجزائر العاصمة، ولذلك نراه أحيانا يغافل «جان» فيحاول إلصاق منشور تحريضي فوق الإعلان الذي يطلب رأسه، ثم نسمع دوي انفجار عنيف فيعلم الناس أن الخطة قد نفذت بنجاح وأن » أمينة « قد نسفت قطار شحنة الذخيرة في المحطة وذلك بمساعدة « عمار »، ولذلك فبمجرد عودة « عمار » شاحبا متهاويا بسرعة بجوار « مصطفى » نرى « هارون» وقد تملكه الفضول فيروح يسأل « أحمد » وبعد

---

[1] - السأم: المَلَل الشديد.

[2] - يغيض: ينتهي شيئا فشيئا.

[3] - قُدَّ: فُصِّلَ.

عودة « أمينة » وهي ترتدي عباءة، يحاول « هارون » التحرش بها، فينهره «أحمد» ويطرده من المقهى وهكذا لا يظفر بتاتا بإجابات عن شكوكه.

وفي اللحظة التي تمتد فيها يد من أحد الدروب لتقذف بمنشورات تحريضية، يدخل ضابطان من الصدر أحدهما فرنسي من المظليين وهو المأجور « بيير » مثال القذارة، والآخر ألماني من اللفيف الأجنبي وهو الملازم « فريتز» وفيما يتباهى «بيير» بقراءة إعلان المكافأة لمن يقبض على « جاسر »، يقوم «فريتز » بالتقاط منشور فيجده يدعو إلى إضراب الغد، ولذلك يحث « بيير » على ترك المكان نظرا لخطورته، غير أن « بيير» يرفض المغادرة إلا بعد الحصول على غنيمة: مسلمة يضاجعها عنوة أو أقمشة حريرية ينهبها من دكان « مصطفى « ليغري بها زوجة الشاويش «جان » وعندما يمنعه « مصطفى » من نهب دكانه تحدث جلبة يقطعها مرور« أمينة » برفقة « جميلة» فيعترضهما « بيير» محاولا التحرش بجميلة، قبل أن يقرر احتجازها رفقة « أمينة » غير أن « مبروك » يظهر فجأة ومعه مدفع رشاش فيضطرب » بيير » وتسقط الثياب المسلوبة من بين يديه ويدي « فريتز » فيسارع « جان» إلى إطلاق صفارته مستنجدا،وتكون مفاجأته كبيرة عندما يعرف أن « جاسر » هو « مبروك » ثم يحضر جنود يتقدمهم « عزام » وهو ضابط في شرطة الجزائر غير أنه متعاون مع الثورة، فيحرر« بيير » و« فريتز» و«جان » من قبضة « جاسر »، ثم ينصرف الجميع ويخلو المكان تماما من الناس إلا من « عزام » و« مصطفى» و« جاسر » فيخبرهم « عزام » بأن حي القصبة سيحاصر تلك الليلة بعد العاشرة من أجل البحث عن السلاح، فيصدر « جاسر « أوامره إلى « مصطفى » لنقل السلاح إلى سرداب« أحمد » ثم يتفقون على نسف مركز الشرطة الفرنسي.

الفصل الثاني

مساء في بيت « مصطفى بو حريد » المكون من طابقين والكائن في حي القصبة حيث يبدو الشارع ضيقا وتكثر به الخرائب. فنرى « جميلة » قابعة

لوحدها على مكتبها حزينة لانتحار « أمينة » بالسم بعدما فجرت دار الشرطة بمساعدة « عمار ، ومما ترويه « جميلة » حول ذلك :

أسَفَاهُ! قد سقطتْ، وفي نظراتها وَهْجٌ سيُشْرِقْ
و بْييرُ يَرْكَلُها بكعب حذائه، والرعب يعتصر الجميعْ
وتجرعتْ أنبوبة السم الصغيرة ثم قالت:
لا تتركوا أحدا يُساق إلى سجن بربروسه
ولديه سر من الأسرار

ماتت وفوق شفاهها اختَلَجَ الهُتافْ : تحيا الجزائرْ.

وفي الشارع يكتشف« أحمد الجاسوس « هارون » وهو يدل « بيير » على مخبإ الثوار الموجود في السرداب خلف الجدار، وبعد انصراف « بيير » لإحضار العساكر يقبض« أحمد » على « هارون » ويقطع لسانه، قبل أن يتولى « عزام » قتله.

وفي حوار « جميلة » مع عمها « مصطفى « نلاحظ رغبتها في الالتحاق بالثورة ورفضها للدراسة ولحجة صغر سنها، وعندما يحضر » جاسر » وتتعرف عليه « جميلة » لأول مرة تزداد سعادة خاصة عندما تكتشف حقيقة النشاط الثوري لعمها « مصطفى »، ثم يروي « جاسر » قصة هروبه من قبضة العساكر الفرنسيين بعدما تم لهم اكتشاف مخبإ الثوار بفعل وشاية خائن، تؤكد « جميلة » بشأنه أنه ليس سوى « هارون » بناء على وصية «أمينة» أسرتها لها قبل موتها، فيضطر « مصطفى « للمغادرة على عجل سعيا لإنقاذ خليته الثورية المكونة من «عمار» و« هند » بعدما اكتشفت عيون الاستعمار مكان اللقاء، وفي حين يعبر «جاسر » للفتاة « جميلة » عن إعجابه بها ويحثها على الصبر ونبذ البكاء، يندفع الطفل «سرحان » صوب أخته « جميلة « ليخبرها أن « مصطفى » قد غادر البيت ناسيا البطاقة، فيطلبان منه إعادتها إلى مكانها في الحمام حيث كان « مصطفى » سيستحم قبل أن يضطر للمغادرة من أجل إخطار خليته الثورية .

ثم تبوح "جميلة" للقائد "جاسر" برغبتها في الانضمام إلى صفوف الثورة قائلة

جميلة: قل لي متى أنضم إلى صفوفكم ؟
جاسر: لا تقلقي فغدا يجيء الوقت
جميلة: أنا في الطفولة كنت أحلم أن أكون مجاهدهْ
ورأيت أمي وهي تُقتل فوق قبر أبي الشهيدْ
فمضيت إلى الجبل الأشمْ، وعلى الطريق، على مشارف قريتي
قال الكبار لي : ارجعي... فغدا يجيء الوقت

ثم يحضر « عزام » بحثا عن » جاسر »، فتهم « جميلة » بتهشيم رأسه بواسطة آنية فخار كبيرة اعتقادا منها أنه من أعوان الاستعمار قبل أن ينهرها «جاسر » وتكتشف بأن «عزام » هو الآخر من الثوار، ويمهد الكاتب للدور الذي ستضطلع به «جميلة » عندما يخرج « عزام » رسالة ليقرأها » جاسر » ويعرف بأن باخرة الأسلحة قد غادرت سواحل مصر وهي في طريقها إلى الثوار بالجزائر، فيتم التشاور بخصوص نقل الحمولة وضرورة البحث عن فتاة لتعويض "أمينة" وهي الفرصة التي سيتم فيها تجنيد « جميلة

وفي الشارع نرى العساكر الفرنسيين بقيادة « بيير » وهم يفتشون المارة ويستنطقونهم بحثا عن « جاسر »، ثم ينتفض الطفل سرحان » من الشرفة حيث كان يتولى حراسة الطريق ليخبر « جميلة » بأن العساكر قادمون إلى البيت، فيخرج « عزام » غير خائف لأنه ضابط شرطة، في حين تقوم « جميلة » بمنع جاسر » من الخروج وتشير عليه بالاختباء في الحمام وانتحال شخصية «مصطفى» الذي ترك بطاقته كما نعلم، وهو ما يحدث فعلا عندما يقتحم العساكر بيت « مصطفى » إذ تنطلي عليهم الحيلة، غير أن « بيير » المهووس بالجنس والاغتصاب يتحرش بجميلة فيحاول » فريتز » منعه لكنه لا ينثني عن عزمه إلا بعد أن يستل « سرحان » خنجرا، تخطفه » جميلة » منه وتهدد به « بيير

» الذي ينصرف خائبا ممتعضا من كلمات « فريتز » وهو يعبر عن إعجابه بنضال الجزائريين في سبيل شرفهم وحريتهم فيقول :

فريتز: أما هنا فهنا المعارك لا يخالجها سوى أمل انتصار !

إذ هم هنا شعب يناضل لا قطيعا ما يساق بلا إرادهْ

أفهمت هذا؟ إنه وطن يناضل بالرجال وبالنساء وبالصغار والكبارْ ...

بالذكريات بكل آمال الطفولة في السعادهْ

وبكل ما في طاقة القلب الأبيِّ من الإباءْ

وكل إنسان هنا حر ...أجل حر؟ أتفهم !

حر أمام مصيره، وحياته، والآخرين

حر أمام الموت والتاريخ! لكن كيف تفهم أنت هذا؟

و في الشارع لا يجد « بيير » وجنوده من وسيلة للتعبير عن خيباتهم سوى الانتقام من الأبرياء، فعلى ضوء البطاريات يتفرسون وجوه المارة بحثا عن القائد «جاسر » ثم يعترض « بيير طريق أم أمينة وابنها الصغير المسرّحين من السجن لتوهما، فيدعو الضباط للانتقام منهما قائلا:

بيير: هي أمُّ مَن نسفتْ صباح اليوم دارَ الكوميساريا

وقضت على عشرين منا

فتهيأوا للانتقام !

فتحدث مجزرة مروعة إذ يقتل «بيير» الطفل وأمه، كما يتولى أحد الضباط قتل «مصطفى» أمام مرأى «جميلة» و«جاسر» الذين يطلان من الشرفة في الظلام، فتمتلئ قلوب الثوار بالغضب لكن«جاسر» يمنع «جميلة» من الخروج من البيت، كما يقوم «عمار» بمنع «هند» من مغادرة السرداب غير أن الطفل «سرحان»

ينفلت فيخرج صارخا ويطعن الضابط الذي قتل عمه فيطلق عليه النار أحد الضباط ويرديه قتيلا، ويزداد جنون «بيير» فيحث جنوده على مزيد من القتل، وأمام شدة غضب الثوار لا يملك«عمار» سوى أن يقول لرفاقه :

عمار: للرجال الذين يحاولون الاندفاع: الشجاع اليوم من يملك قلبه والذي يحيا ليوم الانتقام ما يزال الوقت ملكا للذي يحسن التفكير فيه

ويختتم هذا الفصل باستشهاد «أحمد» بعد أن طعن أحد الضباط، وعلى إيقاع المجزرة الرهيبة يزداد غضب الثوار وتصميمهم على تحرير الوطن المفدى من ربقة الاستعمار إذ يعلق الكاتب على لسان «جاسر» قائلا

لم تعد الحياة هي الحياة!

المنظر الأول من الفصل الثالث

في بيت بوحريد، في صبيحة ليلة المذبحة، حيث نلاحظ أجواء الحزن المخيم على «عمار» الشاعر، وخطيبته»» هند» المفجوعة، وعلى «عزام» المهموم و«جاسر» الباكي في غضب :

جاسر: (وحيدا فاجعا من بعيد) كل ما في القصبة اليوم حطام
إن أعراض النساء انتُهكتْ، إن هاماتِ الرجال امتُهِنتْ[1]
والذي يملأ القلب بنور الكبرياء
كله أضحى رُغاما في الرُّغام[2]
المعاني كلها قد دمرت فكأني بجبل سُجِّرتْ[3] !
وكأني بجحيم سُعِّرت والنجوم انكدرت !

---

[1]- هامات: رؤوس. امتهنت: أهينت.

[2]- الرغام: التراب.

[3]- سجرت: أشعلتْ.

والسماء انكشطت
فإذا سرنا هناك حيث كنا نرفع الرأس، أحاطتنا الشراك
لا يكاد المرء يمشي خطوة إلا تعلق بردائه أو حذائه بعض
أشلاء من القلب الممزق

ولمواجهة هذه المناحة، تقوم «جميلة» من فراشها، وتحث رفاقها على الصبر والجلَد، وتوجيه التركيز نحو التفكير في عمل يزيد من لهيب الثورة، ويضعف الاستعمار :

جميلة: نحن نحتاج إلى شيء جديد عمل يذهل من روعته
ويضيء القلب بالعزة من عزته

لقد كان لهذا الموقف الإيجابي من«جميلة» تأثيره على الثوار- خاصة وأنها هي من فقدت أخاها وعمها في المذبحة – فازداد تصميمهم على الكفاح ضد الاستعمار، وفي خطوة عملية لتجاوز أحزان المذبحة، يقوم «عزام» بدعوة رفاقه الثوار إلى التشاور في شأن نقل شحنة الأسلحة القادمة من مصر على ظهر سفينة حيث ينتظر وصولها ذلك اليوم في الساعة الواحدة ليلا، وبدورها تقوم «هند» بدعوة رفاقها إلى القيام بعملية عسكرية استباقية، تشغل قوى الاستعمار عن سفينة الأسلحة، فيتولى«جاسر» رسم خطة لنسف حانة «سيمون» عند منتصف الليل حيث تكون الحانة قد امتلأت بالضباط، ثم توزع الأدوار ويتم الاتفاق على أن يكون «بيير» قائد المذبحة هو الهدف السامي للعملية . ثم إذا ما انفجرت القنبلة وهب العساكر والشرطة من كل صوب، يكون المجال مفتوحا للمجاهدين من أجل تفريغ شحنة الأسلحة ونقلها .

المنظر الثاني من الفصل الثالث

تنفيذ خطة العملية، يظهر مرقص«كباريه سيمون العزيزة» في شارع على البحر، كما يظهر«جاسر» وهو متنكر في لباس ضابط من اللفيف الأجنبي، برفقة

« جميلة » وهي ترتدي ثوب سهرة ومعها حقيبة يد كبيرة تحتوي على القنبلة التي أعدها «عمار» وفي حين يجلس «عزام» على مائدة داخل المرقص برفقة «هند» ويتناثر الضباط ومنهم «بيير» و«فريتز» على الموائد، يظل «جاسر» و«جميلة» يراقبان حركة الملهى من بعيد وكأنهما عاشقان يتناغمان على الرصيف المقابل للبحر. وفي الملهى نلحظ تكاثر الضباط وافتخارهم بمجزرة القصبة، كما نستنتج من تحاورهم روح الدعارة التي تملأ نفوسهم، فعقولهم في فروجهم، وهم لا يتورعون عن انتهاك شرف بعضهم بعضا، كما نستشف روح الظلم والعدوانية التي تميز سلوكاتهم، إنهم فعلا حثالة المجتمعات.

وعندما تدق الساعة منتصف الليل تلقي سيمون نظرة خاصة على « عزام » وتشير إلى أحد الخدم ليطفئ النور، لتشرع في تقديم رقصة « المذبوحين » كما أسمتها، ووسط ضجيج الضباط وعربدتهم، يطلق «عزام» النار على » بيير » وهو يتظاهر بعناق « هند »، ثم تتقدم « سيمون » نحوه وبتواطؤ مسبق منها يخفي « عزام » المسدس في صدرها ثم تنسحب إلى الداخل، وعندما تكتشف إصابة « بيير « يتم نقله وهو ينزف دما إلى حجرة «سيمون » ووسط الهرج والمرج الذي يسود المرقص يتدافع الضباط والعساكر نحو الباب الخارجي فيتلقاهم « جاسر » بالقنبلة ويصرعهم جميعا فلا ينجو من العملية سوى « سيمون» والخدم، أما « بيير » فقد أصيب إصابة بالغة لكنه لم يمت بعد، ثم يقوم « عزام » بتقديم مال للراقصة « سيمون » لقاء تعاونها مع الثوار فترفض استلامه، كما ترفض استلام الخاتم الذي قدمته لها « هند » وفي سبيل توضيح أسباب تعاونها مع الثوار الجزائريين ضد قوى الاستعمار، تروي « سيمون « مأساتها حيث قتل زوجها في الحرب الهند الصينية، فظلت وحيلة رفقة طفلتها التي أصبحت يتيمة، وعندما انتقدت تلك الحرب قام تجار الدماء والمآسي بسجنها وبعدما أطلق سراحها وجدت طفلتها قد توفيت، من أجل كل ذلك فهي تكره الحرب وتدين الاستعمار دفاعا عن شرف فرنسا وقيمها الحقيقية كما قالت، كما كشفت بأنها تعشق « عزام » الذي دعته إلى بيتها، ويختتم المنظر بمغادرة « عزام » رفقة «جاسر»

لتفريغ شحنة الأسلحة، في حين تعرض « سيمون» على « هند » و«جميلة » نقلهما في عربتها حتى لا يعترض طريقهما أحد، إذ أن العربة تحوز تصريحا من السلطات بأن تتجول طول الليل، لكن « هند » تعتذر لها عن الركوب إذ أن لها أعمالا أخرى رفقة « جميلة »، ثم تظهر السفينة في الأفق الداكن من بعيد.

المنظر الأول من الفصل الرابع

تجري حوادثه في بيت «جميلة » وفيه تظهر قدرة هذه الأخيرة على التنظيم وقيادة أربع طالبات وتدريبهن على نقل ذخائر الأسلحة من الشاطئ المهجور فتأمرهن بارتداء عباءات شعبية وأنهن سيجدن عند الصخرة الأولى مجاهدا فيعطي كل واحدة كيسا تحمله على رأسها وتسير به على يمين الصخرة الأولى مدى خمسين خطوة، ثم تجدن فجوة على مداخلها رجل وأمامه بعض الجمال وبعد تبادل كلمة السر، تقمن بوضع الحمولة فوق الجمل ثم الانطلاق خلفه، حتى إذا ما صادفتهن دورية من العساكر أو البوليس، فعليهن بالتظاهر بالانتحاب وكأنهن مهاجرات بائسات، وتطمئنهن « جميلة » بأن أمر عودتهن سيتدبرها إخوان يجدنهم عند الوصول إذ عليهن الرجوع قبل ميعاد انصراف المدرسة حتى لا يلاحظ أحد تأخرهن. وقبل انصرافهن لتأدية مهمتهن في الغد صباحا، تقوم جميلة بإعطاء « منى» ربطة مناشير تحريضية لتوزيعها على طالبات المدرسة، ثم تودعهن وهي تحث على ضرورة الانضباط.

وعندما تنصرف الطالبات من بيت «جميلة» يدخل «جاسر» ومن خلال الحوار الذي يدور بينه وبين «جميلة» نستشف إعجابه بحسن قيادتها، غير أنها تعاتبه على التقصير الذي بدر منهم جميعا ليلة حانة سيمون مما أدى إلى اعتقال «هند« إذ أنها الآن سجينة في قلعة برباروسة، ثم يأتي «عمار» ويخبر «جاسر» بوصول السلاح إلى الجبل، فيعطيه «جاسر» ورقة تتضمن خطة نقل بقية الذخيرة. وفجأة يلج «عزام البيت مضطربا ويطلب من الجميع مغادرة المكان فورا نظرا للقدوم

المرتقب لعساكر الاحتلال بنية التفتيش، فيصدر «جاسر» أوامره بجمع الوثائق المهمة وإحراق البقية، وهو الأمر الذي تنفذه «جميلة» بمساعدة «عمار». ثم يتولى «عزام» شرح خطة الانسحاب والاختباء ممثلة في المشي حتى باب المسجد حيث يكون شيخه بانتظارهم فيأخذهم إلى داره، ومن هناك يتنقلون عبر سرداب أمين إلى دار «عزام» وبعد تبادل كلمات السر تفتح لهم «سيمون» عشيقة "عزام" الباب. ويحثهم «عزام» على الوثوق بها رغم كونها فرنسية إذ أنها فضلا عن المساعدة التي قدمتها في عملية المرقص، فهي من جاءته بأسرار القيادة الاستعمارية كلها، ومنها عملية التفتيش المرتقبة. وبسرعة يشرع الثوار في تنفيذ خطة الانسحاب فنرى «جميلة » وهي تحمل بعض أوراق وحقيبة مدرسية فيأخذ منها« جاسر « الأوراق ويفحصها، ثم يعيد الوثائق المهمة إلى الحقيبة، ويأمرها بإحراق البقية، لكن وفي موقف درامي يساعد على مزيد من التشويق، يكتشف الثوار أن مع جميلة علبة كبريت لكنها خالية تماما من أعواد الثقاب، فأسقط في يدهم وطفق «عمار» يصرخ

عمار صارخا: عود من الكبريت ينقذنا جميعا

كيف هذا يا إلهي

المصير معلق بخزعبلات ...

عودا من الكبريت ينقذ جبهة التحرير، ينقذ كل

معركة الجزائر

عودا من الكبريت بالذهب المكدس يا أصحاب

وبنصف عمري أشتريه عودا من الكبريت بالدنيا ...

بمملكتي جميعا

ولمواجهة الموقف يلجأ «عمار» إلى إشعال فتيل من صخور الفرن، ثم يدور حوار بين الثوار حول من يغامر بالخروج أولا، ونكتشف من خلال ذلك مدى تلاحمهم وحبهم لقائدهم « جاسر » ورغبة كل واحد منهم في التضحية بنفسه

في سبيل انقاذ رفاقه، وفي الوقت الذي يوزع فيه «جاسر» الوثائق على الثوار حتى لا تقع جميعها في يد العدو، تقرر «جميلة» السير في الطليعة لأنها في زي مدرسي قد يجنبها شكوك جنود الاستعمار، وبعد الاتفاق على الإشارات السرية بوجود خطر في الطريق أو بخلوه منه، تأخذ «جميلة» حقيبتها المدرسية التي تحتوي على الأوراق وتخرج، وعلى مضض يبارك «جاسر» سيرها قائلا

جاسر: (في استسلام) سِيري على اسم الله ...
ولتحرسك عين رعايته ...
جميلة: (على الباب) إن مت يا عزام قل للناس عني في غد
جاسر: سِيري كما سار النبيون الكبار وبَشِّري ...
جميلة: (تكمل) إن مت قل :إني سقطت على الطريق
لأزيح أشواك الطريق
ولكي يسير الركب من بعدي إلى نصر محقق
سيروا على جسدي إلى النصر المحقق

وبينما تسير« جميلة » ويتبعها« جاسر» ثم «عمار» فإن «عزام » يظل يطل من النافذة ليدقق النظر، على إيقاع صوت أذان العصر، فيصف لنا وقائع انسحاب رفقائه المجاهدين، فنعلم أن «جميلة» قد بلغت الدرب المجاور وأن شيخ المسجد استقبلها فألقت إليه حقيبتها وألقت بمنديل الأمان إشارة إلى خلو الطريق من المخاطر غير أن «عزام» يلاحظ ظهور جنود وراءها وهي لا تراهم، وعندما يتقدم «جاسر» يتقدم الجنود وراءه أيضا ثم يظهر «عمار» فيحيطون به هو الآخر، ولمواجهة هذا الموقف الخطير، تنطلق «جميلة» وهي تجري لكي تشغل الجنود بها وتنقذ رفيقيها « جاسر» و«عمار» وهو ما يحدث فعلا إذ يطاردها الجنود قبل أن يطلق أحدهم رصاصة عليها تسقطها على صخر الطريق. وهكذا تضحي «جميلة » بنفسها من أجل إنقاذ رفيقيها وكأن نبوءتها تحققت إذ أنها:

سقطت لتزيح أشواك الطريق، ويسير الركب من بعدها على جسدها إلى النصر المحقق.

المنظر الثاني من الفصل الرابع

يصور عذابات«جميلة»وتحديها لسجانيها، حيث تجرى الحوادث في سجن بربار وسة، فنرى «جميلة في حجرة المأمور مستلقية في ثياب مهلهلة على أريكة في شبه غيبوبة...وإلى جوارها يقف "بيير" وهو الآن يحمل رتبة (كولونيل) ...من بعيد يقف طبيب في (البالطو) الأبيض...بالحجرة أدوات التعذيب»، وبمنتهى القسوة يقوم بيير باستنطاق «جميلة » وهي في حالة مأساوية يصفها الطبيب وهو يخاطب « بيير» قائلا

الطبيب: أخشى أنها لا تحتمل
فالذراع الأيمن المخلوع قد كاد يشل
وهنا في الصدر جرح متقيح
كان أولى بكم أن تنقلوها لمصح
لا إلى قلعة باربروسة يا سيدي

وعلى الرغم من تعدد محاولات « بيير » في انتزاع اعترافات من جميلة » بمكان « جاسر » إلا أنه لا يفلح إلى ذلك سبيلا فيلجأ للترغيب حينا وللترهيب أحيانا، لكن « جميلة » تختار الموت على التعاون مع سجانيها وجلاديها، هذا ما يتجلى بوضوح في ردها على « بيير » إذ تقول له :

جميلة: إن من حقي وحق الناس أن نحيا جميعا شرفاء
بيير: ولهذا أنا أدعوك إلى أن تسمعيني
جميلة: ألكي أحيا كما يحيا سواي حرة آمنة أكسب قُوتي
ينبغي أن تغرف الوحلَ يداي ويصبح العار حولي
بيير: أو تموتي!

وأمام إصرارها على الرفض، يلجأ « بيير » إلى تعنيفها، ورغم نهي الطبيب له نظرا لتدهور حالتها الصحية مما اضطره إلى تحرير تقرير مزور عنها، إلا أن «بيير» يصدر أوامره لجلاد السجن بتعذيبها بواسطة الكهرباء لكن « جميلة تكتم آلامها وصراخها، وفي شجاعة تتحدى قائلة

جميلة : ستموت مختنقا بوحل العار يوما يا بيير

بيير : فلتحملوا تلك اللعينة ألقوا بها في النار!

فيتسلمها مأمور السجن، ويقترح تعذيبها أكثر وحقنها بـ(المورفين) حتى تفقد عقلها، وفي انتظار تنفيذ ذلك يأخذها « جان » رفقة جندي تابع له إلى الزنزانة المظلمة، وهناك تجد « جميلة » امرأة صغيرة منفوشة الشعر ممزقة الثياب كأنها حيوان مذعور، سرعان ما تتعرف عليها، إنها « هند » وقد فقدت عقلها من شدة التعذيب، وحقن المورفين فراحت تهذي مقلدة صوت المدفع الرشاش

هند :تك..تك..تك..تك..هات..خذ ...

أيها أقرب إلى الله انفجار القنبلة

أم دوي المدفع الرشاش، أم ..

صرخة العذراء وهي تغتصب! إنها المشكلة !

جميلة: هند ماذا صنعوا بك آه.. يا أختي

ماذا صنعوا بك؟

هند: خذ.. هات.. خذ هات ..

إنهم قادمون الآن في تلك الوجوه الكالحات

العيون النهمات

قبعات لونها كالدم.. آه.. ألف ناب ألف مخلب

تنهش الساعة في لحمي.. آه

لقد لاحظت جميلة » مختلف مظاهر التعذيب الوحشي على « هند »، وهو ما جعلها تصرخ في جنون، ثم شيئا فشيئا تستعيد المجاهدتان وعيهما وهدوءهما،

وبمنتهى الندم تعترف « هند « لرفيقتها بأنها هي التي أفشت بسر مكان اختباء الثوار عندما تم القبض عليها وهي في ثوب فاضح إثر عملية حانة « سيمون »، ولكن « جميلة » راحت تهدئ من روعها وتطلب منها الهدوء والنوم، وهنا يزداد ذعر « هند » على اعتبار أن العساكر الفرنسيين دأبوا على اغتصابها كلما نامت

ثم يدخل « الطبيب » و« المأمور » و« جان » و« السجان » و جندي »، فيبادر « السجان » بتعذيب « جميلة » ومناداتها باسم « ليلى » وذلك حتى يجعلها تجن. وفي الوقت الذي تنهار فيه « هند » وتتوسل للجلادين بعدم تعذيبها وحقنها بالمورفين نجد « جميلة » تواجههم في عزم وثبات

المأمور: حسنا.. فقولي أين جاسر ليلى، أجيبي
جميلة: (ثائرة) أنا لست ليلى لست ليلى بل جميلة بوحريد
إني لأشهد هذه الدنيا عليكم يا وحوش الله أكبر
إن المظالم لن تعيش الله أكبر

إزاء ذلك تتعرض « جميلة » للضرب والتعذيب فتصلب وتحقن بالمورفين، رمع ذلك تظل تتحدى وبعد خروج « المأمور » و« الطبيب »، تلقي بكلمات ثورية في حضور » جان » و« السجان »، تناجي من خلالها « جاسر » وتستصرخ المجاهدين قائلة :

جميلة: يا أيها الفرسان من كل الجبال تقدموا وتقدموا
يا أيها الشجعان في جوف الليالي السود
لا تستسلموا وتقدموا، وتقدموا ..
بشذى جزائرنا الجديدة، بالنضارة، بالربيع
لتبددوا سحب الدموع ولتمسحوا كل الدموع

لقد كان المشهد مؤثرا جدا مما جعل «جان» يسقط راكعا أمامها وهي مصلوبة ويصلي وكأنه يواجه قديسة، فيعبر عن ندمه وقراره بالاستقالة

والرحيل، فيندفع صوب حجرة المأمور ليقدم ورقة الاستقالة لكن «بيير» يطالبه بسحبها أو على الأقل ما ورد فيها من عبارات تفضح حقيقة الممارسات الوحشية في سجن بربروسة، فيتمسك « جان » بالاستقالة رافضا تغيير أي حرف فيها معلنا بقوله :

جان: وهو يتحرك إلى باب الحجرة:

حسنا.. فلننصرف كلنا من ها هنا

ما الذي نصنع في هذي البلاد؟

إنها ليست لنا

وعندما يبلغ الباب يطلق «بيير» الرصاص على ظهره فيسقط، ثم يأمر «الطبيب » بتحرير تقرير يثبت فيه بأن «جان» قد خانته زوجته فانتحر، وفي لحظة تشاورهم لإيجاد صيغة أخرى للتقرير على اعتبار أن الإصابة كانت في الظهر مما يفند أطروحة الانتحار، في هذه اللحظة يستجمع «جان» قواه قبل أن يسلم روحه ويطلق الرصاص على «بيير» فيرديه قتيلا

الفصل الأخير

مهزلة المحاكمة بإشراف محام عميل، وقضاة أبوا أن يستمعوا لصوت الحق والعدل، وحكموا عليها مقدما بالإعدام، ولم تكن المحاكمة إلا تمثيلا شائنها وخداعا، كل ذلك في حضور غاص من المستوطنين، رجالا ونساء جاؤوا للاستمتاع بفرجة المحاكمة الظالمة التي تجري تحت حراسة الكولونيل«عزام» الذي تتعرف عليه «جميلة» فتنظر إليه طويلا وهي تكاد تختلج، ثم تقوم بتوجيه احتجاج لرئيس المحكمة لكون المحاكمة تتم ليلا في ساعة حضر التجول، غير أن «الرئيس» لا يبالي بمطلبها ويأمر «السكرتير» بتلاوة قائمة التهم فينفذ ذلك على إيقاع صخب الحاضرين وهم يطالبون بإعدامها، وفي غمرة الصخب يظهر «جاسر» في ملابس ضابط من اللفيف الأجنبي، فيجلسه «عزام» في آخر القاعة.

وعندما يشرع «الرئيس» في مساءلة «جميلة» تمتنع عن الإجابة مطالبة بحضور محاميها رافضة ذلك المحامي الذي عينته لها المحكمة، فيعلو الصخب من جديد وفي أثناء ذلك يلج المحكمة رجل مهيب في الستين من العمر وهو الأستاذ المحامي «فيرجيه» القادم لتوه من باريس للدفاع عن» جميلة» لكن «الرئيس» يرفض قبول أوراق اعتماده ويصر على طرده لولا أن «جميلة «وبنظرة خاصة من «عزام» تعلن أمام المحكمة قبول مرافعة «فيرجيه» عنها، فأسقط في يد هيئة المحكمة كلها واضطر رئيسها إلى اعتماد الأستاذ «فيرجيه» محاميا عن «جميلة. وفي تطور جديد للمحاكمة يطالب «فيرجيه» بتأجيل الجلسة لأسبوع حتى يتسنى له الانفراد قليلا بالمتهمة، وتوفير بعض الضمانات القانونية لها، فيقابل طلبه بالرفض وتقول له جميلة:

جميلة: يا سيدي الأستاذ ...

اسمع ما أردت سماعه مني ونحن على انفراد
ما نحن إلا في اجتماع للصوص كما اكتشفت
دعني أقل لك إنهم قبضوا علي وكاهلي متمزق برصاصتين
وحملت من فوري لمستشفى بعيد لست أذكر بعد أين
وهناك ظل دمي يسيل.. وكان أميل للسواد

وعلى الرغم من سخرية بعض الحاضرين إلا أن» جميلة» وبأسلوب مؤثر تواصل سرد بعض من وقائع عذاباتها في السجن واغتصابها البشع من طرف جنود المظليين وبعض السينغاليين فتقول

جميلة: (تستمر) وظللت أدفعهم وأبصق في وجوههم الحقيرة
ودمي يسيل وأنا هنالك عارية وظللت أضرب عارية ودمي يسيل
وأنا أدافعهم، وهم يتدافعون علي كالتنين في غيظ مخيف
ودمي يسيل وشلدت عارية إلى آلات تعذيب رهيبة

لقد فضحت كلمات «جميلة» حقيقة الاستعمار،وعرت أسرار ما هو خلف

الأسوار، مما أوقع الحاضرين في حرج كبير، خاصة وأن المحامي «فيرجيه» راح يطالب بحضور «جان» و«الطبيب» للإدلاء بشهادتيهما أمام المحكمة، لكن «الرئيس» يذكر بأن المحكمة تكتفي باعتماد تقرير«الطبيب» كشاهد إثبات دون الحاجة إلى حضور « الطبيب » شخصيا،وهنا يفاجئ « فيرجيه » الحضور بأنه هو الآخر يملك تقريرا منافيا للتقرير الأول وبقلم« الطبيب » ذاته وتوقيعه أيضا، ولتجاوز حالة الارتباك يأمر « الرئيس » بإدخال « هند» كشاهد اثبات، فتتوجه نحو المنصة وهي شبه مخدرة وتهذي بكلمات مخيفة قبل أن تستعيد وعيها وتعلن داعية المجاهدين إلى الصمود

هند: يا أيها الفرسان من كل الجبال تقدموا، وتقدموا
يا أيها الشجعان في جوف الليالي السود لا تستسلموا
وتقدموا... وتقدموا
بشذى جزائرنا الجديدة ... بالنضارة...بالربيع
لتبددوا سحب الدموع ولتمسحوا كل الدموع
تبكي ويسمع رجع بكائها من البهو الخارجي

ممثل النيابة : لا تأبهوا بصراخها الملتاث، فهي ممثلة
فيرجيه : (بتأثر) لكنها مجنونة حقا
الرئيس: أجل مجنونة، وممثلة
فيرجيه: مع كل ذلك، فهي عندك عاقلة
لمدى يؤهل رأسها للمقصلة

بعدها يتم الإعلان عن فترة استراحة، فيتسلم « فيرجيه «« محضر التحقيق من يد« الكاتب » ويغادر أعضاء المحكمة المنصة، ثم يأمر« عزام » كل الحاضرين بمغادرة القاعة بحجة تفتيشها من جديد، وفي إثر خروجهم ينظر أحد المستوطنين إلى « جاسر » بريبة، ثم يحكم « عزام » إغلاق الباب فاسحا المجال لكل من« جاسر» و »»جميلة » بفرصة اللقاء الأخير، فيبتهجان باللقاء، ويحثها « عزام » على

البوح لبعضهما بما في قلبيهما من لواعج الحب غير أن الحياء يمنعهما من ذلك، ويغضب « جاسر» لشعوره بالعجز عن إنقاذ « جميلة » فيقول متسائلا

جاسر: لم لا يقوى على إنقاذها شيء؟
لماذا لم تعد تقوى على إنقاذها كل الجهود؟
لم لا تنتزع الطفلة من أظفارهم؟
جميلة: أتراني طفلة مازلت... جاسر
في غد ... عندما يرتفع الزيتون في خضرته
عندما ترتفع الراية في أرض الجزائر
عندما تنتصر الثورة ... فابكوني، وقولوا لم تمت
عزام: سنقول انتصرت!

وعندما يرن الجرس إيذانا بانتهاء فترة الاستراحة، وفي لحظات الوداع يخيم حزن جليل على الجميع، ولكن «عزام» يستعجل» جاسر»في الذهاب، وأثناء دخول الناس، يخرج «جاسر» فيرمقه المستوطن من جديد ثم يخرج وراءه ومعه أحد الضباط. ثم تستأنف المحاكمة بإعلان من «الرئيس» استحالة حضور الشاهدين اللذين طالب «فيرجيه» بهما، حيث يعلن الرئيس أن «جان» قد انتحر، وأن الطبيب» قد مات بالسكتة القلبية، وهذا ما يدل على تصفيتهما كما يستنتج «فيرجيه ««الذي أزعج هيئة المحكمة بمرافعاته فأمر رئيسها بطرده عنوة، ويتم إصدار الحكم على» جميلة» في غياب محاميها «فيرجيه»، ومع ذلك تتحداهم جميعا قائلة

جميلة : هل تملكون سوى دمي فلتأخذوه... لتشربوه
الرئيس : الحكم بالإعدام رميا بالرصاص
أصوات : تحيا العدالة
جميلة : (رافعة رأسها) تحيا الجزائر

وفي أثناء ذلك يسمع دوي طلقات رصاص خارج القاعة، فيسود الهرج ويفر

القضاة، قبل أن تعلن أصوات من الخارج عن سقوط «جاسر» جريحا، ثم نرى زحاما من الضباط والمستوطنين وهم يدفعون «جاسر» بوحشية إلى داخل القاعة و«عزام» يحاول إبعادهم عنه، ثم يخرجهم ويغلق الباب دونهم فتعلق «جميلة» في حزن عارم

جميلة: الآن... أشعر أنني حقا أموت

جاسر : عزام... هل قبضوا على أحد سواي من الصحاب الآخرين؟

عزام: هل كان غيرك ها هنا أيضا ؟

جاسر: أجل ... كنا ثلاثة كنا سننقذها

لقد كان «جاسر» منهكا والجراح في كتفه، ومع ذلك فقد بدا مرتاحا عندما علم بأن العساكر لم يقبضوا على أحد من رفاقه سواه، ثم يأمر «عزام» بالانصراف حتى لا يكتشفون حقيقته فيودعه ويزحف باتجاه «جميلة» وهي خلف قضبان القفص الحديدي وبعد مناجاتها يقول

جاسر : اذكروا أن جميلة لم تكن إلا فتاة كملايين سواها
لم تكن تحلم إلا أن تعيش كملايين البنات
ثم تغدو بعد هذا زوجة تمنح الأرض صغارا طيبين
مثلها

جميلة: لم يكن جاسر أيضا
غير إنسان يحب الخير والعدل ويهوى أن يعيش في سلام
كملايين الرجال ثم يغدو بعد هذا والدا
يمنح الأرض صغارا طيبين مثله

صوت انفجار من بعيد

جاسر : اسمعي... آه... ما أروع هذا كله ...
إنهم إخواننا

عزام: ذلك الصوت الجسور يتحدى كل شيء

جاسر : إنه عاد يدوي من جديد يحمل الرعب إلى أعدائنا

جميلة: إنه صوت الجزائر سيدوي دائما

يحمل الأمن إلى أطفالنا

وتختتم المسرحية بمجموعة جنود يقتحمون القاعة ويفرقون بين «الجاسر و«جميلة» ويقتادون كلا على حدة.

في سبيل الثورة

ترجمة الشاعر

بدر شاكر السياب (1926 – 24 ديسمبر 1964م) شاعر عراقي. ولد بقرية جيكور جنوب شرق البصرة. درس الابتدائية في مدرسة باب سليمان في أبي الخصيب، ثم انتقل إلى مدرسة المحمودية، وتخرج منها في 1 أكتوبر 1938م. أكمل الثانوية في البصرة ما بين عامي 1938 و1943م.

وانتقل إلى بغداد فدخل جامعتها دار المعلمين العالية من عام 1943 إلى 1948م، والتحق بفرع اللغة العربية، ثم الإنجليزية. ومن خلال تلك الدراسة أتيحت له الفرصة للإطلاع على الأدب الإنجليزي بكل تفرعاته.

عمل مدرسا للغة الإنجليزية في إعدادية الرمادي، ولكنه طرد منها، ثم سجن بسبب معتقداته السياسية.

ابتكر بدر شاكر طريقة جديدة في الشعر، وهو الشعر الحر. وكان ذا لغة بسيطة تعتمد على المصورات. وكان متأثرا بشعراء غربيين مثل توماس إيليوت وأيديث سيتويل. (Edith Sitwell , T.S Eliot)

توفي دون الأربعين بعد معاناة مع المرض.

النص الأول: آه لوهران الي لا تثور

مِن قاع قبري أصيح

حتى تئنَ القبورْ

مِن رَجْع صوتي و هو رملٌ و ريحْ

مِن عالَمٍ في حفرتي يستريح

مركومةٌ في جانبيه القصور

و فيه ما في سواهْ

إلا دبيبُ الحياة

حتى الأغاني فيه حتى الزّهور

و الشمسُ إلا أنها لا تدور

و الدّود نخار بها في ضريح

من عالم في قاع قبري أصيح

لا تيأسوا من مولد أو نشور

النور من طين هنا أو زجاج

قفلٌ على باب سور

النور في قبري دُجًى دون نور

النور في شباك داري زجاج

كم حدّقتْ بي خلْفَه من عيون

سوداء كالعار

يجرحن بالأهداب أسراري

فاليوم داري لم تعد داري

و النور في شبّاك داري ظنون

تمتص أغواري

و عند بابي يصرخ الجائعون

في خبزك اليومي دفء الدّماء

فاملأ لنا في كل يوم وعاء

من لحمك الحي الذي نشتهيه

فنكهة الشمس فيه

و فيه طعم الهواء

و عند بابي يصرخ الأشقياء

أُعْصُرْ لنا من مقلتيك الضياء

فإننا مظلمون

و عند بابي يصرخ المخبرون

وَعْرٌ هو المَرْقَى إلى الجلجلة
و الصخر يا سيزيفُ ما أثقلهْ
سيزيف إن الصخرة الآخرون
لكنّ أصواتا كقرع الطبول
تنهلّ في رمسي
من عالم الشمس
هذي خطى الأحياء بين الحقول
في جانب القبر الذي نحن فيه
أصداؤها الخضراء
تنهلّ في داري
أوراق أزهار
من عالم الشمس الذي نشتهيه
أصداؤها البيضاء
يصدعن من حولي جليد الهواء
أصداؤها الحمراء
تنهل في داري
شلال أنوار
فالنور في شبّاك داريَ دماء
يَنْضَحْن من حيث التقى بالصخور
في فوهة القبر المغطاة سور
هذا مخاض الأرض لا تيأسي
بشراكِ يا أجداثُ حانَ النشور
بشراكِ في وهرانَ أصداءُ صور
سيزيف ألقى عنه عبء الدّهور
و استقبل الشمس على الأطلس
آه لوهران التي لا تثور

النص الثاني: إلى جميلة بوحيرد:

لا تسمعيها إن أصواتنا

تخزى بها الريح التي تنقل

باب علينا من دم مقفل

و نحن في ظلمائنا نسأل

من مات ؟ من يبكيه ؟ من يقتل

من يصلب الخبز الذي نأكل

نخشى إذا واريت أمواتنا

أن يفزع الأحياء ما يبصرون

إذ يقفر الكهف الذي يأهلون

إن عربد الوحش الذي يطعمون

من أكبد الموتى فمن يبذل

يا أختنا المشبوحة الباكية

أطرافك الدامية

يقطرن في قلبي و يبكين فيه

يا من حملت الموت عن رافعيه

من ظلمة الطين التي تحتويه

إلى سماوات الدم الوارية

حيث التقى الإنسان و الله و الأموات و الأحياء في شهقة

في رعشة للضربة القاضية

الأرض أم الزهر و الماء و الأسماك و الحيوان و السنبل

لم تبل في إرهابها الأول

من خضة الميلاد ما تحملين

ترتج قيعان المحيطات من أعماقها ينسح فيها حنين

و الصخر منشد بأعصابه حتى يراها في انتظار الجنين

الأرض ؟ أم أنت التي تصرخين

في صمتك المكتظ بالآخرين

في ذلك الموت المخاض المحب المبغض المنفتح المقفل

و نحن أم أنت التي تولدين

أسخى من الميلاد ما تبذلين

و الموت أقسى منه من كل ما عاناه أجيال من الهالكين

أنّ الذي من دونه الجلجلة

و السوط و السّجان و المقصله

أن الذي يفيدك أتفتدين

غير الذي آذه بالنار أو بالعار و الماء الذي تشربين

عبء من الآجال ما أثقله

كم حاول الجلاد أن يترله

كم ودّ أن تلقيه إذ تعجزين

مشبوحة الأطراف فوق الصليب

مشبوحة العينين عبر الظلام

يأتيك من وهران يا للزحام

حشد مشع باشتعال المغيب

يأتيك كل الناس كل الأنام

يرجون مما تبذلين الطعام

و الأمن و النعماء و العافية

و أنت مثل الدوحة العارية

لم يبق منك البغي إلا الجذور

الموت واه دونها و النشور

فيها و تجري دونك الساقية

ما شب في وهران من برعم

أو أزهرت في أطلس عوسجه

إلا ودبت في مسيل الدم

نمنه منعشة مبهجة

توحي بأن الأرض ظلت تدور

طاحونة للقاتل المجرم
تستحق منه واهن الأعظم
و أن ألوان الأذي و العذاب
ذخر لنا نجلوه يوم الحساب
نسقي به الباغين نروي التراب
من لفحة أن الهوى و الشباب
لم يذهبا أن البعاد اقتراب
أن من الدمع الذي تسكبين
أسلحة في أذرع الثائرين
جاء زمان كان فيه البشر
يفدون من أبنائهم للحجر
يا رب عطشى نحن هات المطر
رو العطاشى منه روّ الشجر
و جاء حين عاد فيه البشر
يفدون بالأنعام ما تحبس السماء في أعماقها من قدر
و جاء عصر سار فيه الإله
عريان يدمي كي يروّي الحياه
و اليوم و لى محفل الآلهه
اليوم يفدي ثائر بالدماء
الشيب و الشبان يفدي النساء
يفدي زروع الحقل يفدي النماء
يفدي دموع الأيّم الوالهة
بالأمس دوى في ثرى يثرب
صوت قوي من فقير نبي
ألوى ببغي الصخر لم يضرب
و حطم التيجان أي انطلاق
في مصر في سوريّة في العراق
في أرضك الخضراء كان انعتاق

بالأمس و ارى قومك الآلهة

عشتار أم الخصب و الحب و الاحسان تلك الربّة الوالهة

لم تعط ما أعطيت لم ترو بالأمطار ما روّيت قلب الفقير

لم يعرف الحقد الذي يعرفون

و الحسد الآكل حتى العيون

نحن بنو الفقر الذي يزعمون

في كل عصر أنهم وارثوه

قابيل فينا ما تهاوى أخوه

من ضربة الحقد التي يضربون

يوم ابتدأنا كان عبء السماء

ملقى على أطلس

يزحمه بالمنكب الأملس

ثم ارتقى إيفل تم البناء

فانحط ذاك العبء حينا عليه

ثم انطلقنا نحن من جانبيه

حتى حملنا عبئها كل ما فيها من الأبراج و الأنجم

يا أختنا المشبوحة الباكية

أطرافك الدامية

يقطرن في قلبي و يبكين فيه

لم يلق ما تلقين أنت المسيح

أنت التي تفدين جرح الجريح

أنت التي تعطين لا قبض ريح

يا أختنا يا أمّ أطفالنا

يا سقف أعمالنا

يا ذروة تعلو لأبطالنا

ما حزّ سوط البغي في ساعديك

إلا و في غيبوبة الأنبياء

أحسست أن السوط أن الدماء

أنّ الدجى أن الضحايا هباء
من أجل طفل ضاحكته السماء
فرحان في أرضه
و بعضه فرحان من بعضه
أحسسته يحبو على راحتيك
سمعته يضحك في مسمعيك
يهتف يا جميلة
يا أختى النبيلة
يا أختي القتيلة
لك الغد الزاهي كما تشتهين
و أنت إذ أحسست إذ تسمعين
تعلو بك الآلام فوق التراب
فوق الذرى فوق انعقاد السحاب
تعلين حتى محفل الآلهة
كالربة الواهلة
كالنسمة التائهة
لا تسمعيها إنّ أصواتنا
تخزى بها الريح التي تنقل
باب علينا من دم مقفل
و نحن نحصي ثم أمواتنا
الله لولا أنت يا فادية
ما أثمرت أغصاننا العارية
أو زنبقت أشعارنا القافية
إنا هنا في هوة داجية
ما طاف لولا مقلتاك الشعاع
يوما بها نحن العراة الجياع
لا تسمعي ما لفقوا ما يذاع
ما زينوا ما خط ذاك اليراع

إنا هنا كوم من الأعظم

لم يبق فينا من مسيل الدم

شيء نروي منه قلب الحياة

إنا هو الموت حفاة عراة

لا تسمعيها إن أصواتنا

تخزى بها الريح التي تنقل

باب علينا من دم مقفل

و نحن في ظلمائنا نسأل

من مات ؟ من يبكيه ؟ من يقتل ؟

يا نفحة من عالم الآلهة

هبّت على أقدامنا التائهة

لا تمسحيها من شواظ الدماء

إنا سنمضي في طريق الفناء

و لترفعي اوراس حتى السماء

حتى تروى من مسيل الدماء

أعراق كل الناس كل الصخور

حتى نمسّ الله

حتى نثور

ترجمة الشاعر

شوقي جمال بغدادي شاعر سوري. ولد عام 1928 في بانياس ـ الساحل السوري. أنهى تعليمه العالي في كلية الآداب بدمشق، وكلية التربية معاً عام 1951. عمل مدرساً للغة العربية بسورية والجزائر. ثم تفرغ للكتابة. شارك في تأسيس رابطة الكتاب السوريين التي صار اسمها رابطة الكتاب العرب، وانتخب أميناً عاما لها 1954.

دواوينه الشعرية : أكثر من قلب واحد 1955 ـ لكل حب قصة 1962 ـ أشعار لا تحب 1968 ـ بين الوسادة والعنق 1974 ـ صوت بحجم الفم 1974 ـ ليلى بلا عشاق 1979 ـ عودة الطفل الجميل 1985 ـ رؤيا يوحنا الدمشقي 1991 – شيء يخص الروح 1996.

وله ديوان شعر للأطفال بعنوان: القمر على السطوح 1984، ومجموعة قصص شعرية قصيرة 1981، وحكايات شعرية للأطفال بعنوان: عصفور الجنة 1982.

له من المجموعات القصصية: درب إلى القمة (بالاشتراك) 1952 ـ حيّنا يبصق دما 1954 ـ بيتها في سفح الجبل 1977ـ مهنة اسمها الحلم 1986.

مؤلفاته : قلها وامش (مجموعة خواطر) ـ عودة الاستعمار (بالاشتراك) ـ قديم الشعر وجديده (بالاشتراك).

حصل على الجائزة الأولى للشعر، وللقصة القصيرة من مجلة النقاد بدمشق، والجائزة الأولى للأناشيد الوطنية، وجائزة اتحاد الكتاب العرب لأحسن مجموعة شعرية 1981.

نص القصيدة

الفرحُ الكبير يا جميله
يشوبهُ الإعياءْ
وعندما يخيّم المساءْ
تجهشُ بالبكاءْ
أختي التي تحلم بالبطولة
وتقرأُ الأخبارَ عن جميله
وفي مدينتي
يفكّرون يا صديقتي
بهذه التي
تنظر من شبّاكها الصغيرْ
في سجنها المملّ
كأنها تصلي
وقلبها الكبيرْ
يدقُّ مثل ساعةٍ ضخمه
تعيد في تكرارها كِلْمه
ترنّ في عالمنا الملتاعْ
يا إخوتي الوداعْ
الوداعْ... الوداعْ ...
لو مُتِّ يا جميله
فكيف يستطيع أن يحدق الرجالْ
بعضهمُ في أعين البعضَ
وكيف يا رائدة الجبالْ
سينبعُ الماءُ من الأرضِ
لو متِّ يا جميله
فكيف سوف نستحقُ
بعدُ أن نعيشْ
ومن ترى سيمنع البركانَ أن يجيشْ

والشمسَ أن تُحجبَ باليدينْ

عيونَها

وأن كل عينْ

تَغْرُق في العار الذي نزلْ

وتطبق الأجفانِ من خجلْ

لو متِّ يا جميله

فما الذي يقالْ

غدا إلى الأجيالْ

كيف ترى سنكتب التاريخْ

وأنتِ في جبيننا علامة

وفي غياباتِ القلوبِ صرخة الظلامة

لو صار يا جميله

كيف ترى سنمسح العار عن الجبينْ

ونقتل الإثم الذي استقرَّ كالجنينْ

والذكرياتْ

والذكرياتُ السودُ بعد حينْ

تدقُّ جدران ضميرِ العالم الحزينْ

منِ المدين يا جميلتي

من المدينْ؟

لو تعرفين

ليس همُ الذينْ

ينتصبون عند باب السجن حاقدينْ

ويشحذون في ظلام ليلكِ السَكينْ

لا.. لا أُدينُ هؤلاء وحدهمْ

لا... لا أُدينْ

لو مُتِّ يا جميلتي فكلّنا مدينْ

ولطخة الجبينْ

سوف تغطّي قرننا العشرينْ

لو صار يا صديقتي ,لو صارْ
وانقطعتْ من سجنكِ الأخبارْ
ولم يفد ما صنع الأحرارْ
ولا أغاني الشوق والأشعارْ
لو صار يا صديقتي ولمْ
يقدّرِ الوحشُ مدى الألمْ
فأنشب الأظفارَ واحتدمْ
يأكلُ لحما، ويعبُّ دمْ
فلن تكوني أبدا وحيده
ولن تضيع هذه القصيدة
ولن يقال إنها أيامْ
وعبثا لن ينفع الكلامْ
فأنتِ يا صديقه
عرفتِ في عذابكِ الحقيقة
وأنهُ أضعف ما يكون
جلاّدكِ المحيّرُ المجنونْ
يخبط في غياهبِ السجونْ
بوجههِ المتعقِ العيونْ
وأنهم لو رفعوا الأسوارْ
وكتموا من دونكِ الأخبارْ
ففي ذرى الجبالْ
يزدحمُ النساءُ والرجالْ
وفي المدائنِ الكبرى وفي الضياعْ
وملء هذا العالم الملتاعْ
كي يقسموا في ساعة الوداعْ
رغم الأسى
والحزنِ
واللياعْ

أن يجهدوا أكثرَ كي يتابعوا الصراعْ

جميلتي تصلي

في سجنها المملِّ

وقلبها الكبيرْ

يدقُّ مثل ساعةٍ ضخمه

تعيد في تكرارها كِلْمه

ترنُّ في عالمنا وتصدحُ

يا إخوتي افرحوا ...

يا إخوتي افرحوا

ترجمة الشاعر

هو نزار بن توفيق القباني (1342 - 1419 هـ / 1923 - 1998 م) ديبلوماسي وشاعر سوري معاصر، ولد في 21 مارس 1923 من أسرة دمشقية عريقة، إذ يعتبر جده أبو خليل القباني رائد المسرح العربي.

درس الحقوق في الجامعة السورية وفور تخرجه منها عام 1945 انخرط في السلك الدبلوماسي متنقلاً بين عواصم مختلفة حتى قدّم استقالته عام 1966.

أصدر أول دواوينه عام 1944 بعنوان "قالت لي السمراء" وتابع عملية التأليف والنشر التي بلغت خلال نصف قرن 35 ديوانًا أبرزها "طفولة نهد" و"الرسم بالكلمات". وأسس دار نشر لأعماله في بيروت باسم "منشورات نزار قباني".

وكان لدمشق وبيروت حيز خاص في أشعاره، لعل أبرزهما "القصيدة الدمشقية" و"يا ست الدنيا يا بيروت".

أحدثت حرب 1967 والتي أسماها العرب "النكسة" مفترقًا حاسمًا في تجربته، إذ أخرجته من نمطه التقليدي بوصفه "شاعر الحب والمرأة" لتدخله معترك السياسة، وقد أثارت قصيدته "هوامش على دفتر النكسة" عاصفة في الوطن العربي وصلت إلى حد منع أشعاره في وسائل الإعلام.

على الصعيد الشخصي، عرف القبّاني مآسي عديدة في حياته، منها انتحار شقيقته لما كان طفلاً ومقتل زوجته بلقيس خلال تفجير انتحاري في بيروت، وصولاً إلى وفاة ابنه توفيق الذي رثاه في قصيدته "الأمير الخرافي توفيق قباني".

عاش السنوات الأخيرة من حياته في لندن يكتب الشعر السياسي ومن قصائده الأخيرة "متى يعلنون وفاة العرب؟" و"أم كلثوم على قائمة التطبيع"، وقد وافته المنية في 30 أبريل 1998 ودفن في مسقط رأسه، دمشق.

الاسم: جميلةُ بوحَيرَدْ
رقمُ الزنزانةِ: تِسعُونا
في السجن الحربيِّ بوَهران
والعمرُ اثنان وعشرُونا
عينان كقنديلي معبَدْ
والشعرُ العربيُّ الأسوَدْ
كالصيفِ..
كشلاّل الأحزان
إبريقٌ للماءِ .. وسجّان
ويدٌ تنضمُّ على القُرآن
وامرأةٌ في ضوء الصبحِ
تسترجع في مثل البوحِ
آياتٍ مُحزنة الإرنان
من سُورةِ (مَريمَ) و(الفتَحِ)
الاسم: جميلةُ بوحَيردْ
اسم مكتوبٌ باللهَبِ..
مغموسٌ في جُرح السُحُبِ
في أدَب بلادي. في أدَبي..
العُمرُ اثنان وعشرُونا
في الصدر استوطن زوجُ حَمام
والثغرُ الراقدُ غصنُ سَلام
امرأةٌ من قُسطنطينه
لم تعرف شفتاها الزينه
لم تدخُل حجرتَها الأحلام
لم تلعبْ أبداً كالأطفالْ
لم تُغرم في عقدٍ أو شال

لم تعرف كنساء فرنسا
أقبية اللذة في (بيغال(
الاسم: جميلةُ بوحيرِدْ
أجملُ أغنيةٍ في المغرب
أطولُ نخلةْ
لمحتها واحاتُ المغرب
أجملُ طفلةْ
أتعبتِ الشمسَ ولم تتعب
يا ربّي . هل تحتَ الكوكَب ؟
يوجدُ إنسانْ
يرضى ان يأكُلَ .. أن يشرَب
من لحم مُجاهِدةٍ تُصلب..
أضواءُ (الباستيلِ (ضئيله

وسُعالُ امرأةٍ مُسلُوله..
أكلتْ من نهديها الأغلال
أكلَ الأندالْ
(لاكوستُ) وآلافُ الأنذال
من جيش فرنسا المغلوبه
انتصروا الآن على أنثى
أنثى .. كالشمعة مصلوبه
القيد يعضُّ على القدَمين
وسجائرُ تُطفأ في النهدين
ودمٌ في الأنفِ .. وفي الشفتين
وجراحُ جميلةُ بوحيرد
هيَ والتحريرُ على موعِد
*
مقصلةٌ تنصبُ .. والشرار

يلهونَ بأنثى دون إزار

وجميلةُ بين بنادقهم

عصفورٌ في وسط الأمطار

الجسدُ الخمريَ الأسمر

تنفضُهُ لمساتُ التيَّار

وحروقٌ في الثدي الأيسَر

في الحلمةِ..

في .. في .. ياللعار..

الاسم: جميلةُ بوحَيردَ

تاريخٌ: ترويه بلادي

يحفظُهُ بعدي أولادي

تاريخ امراة من وطني

جلدت مقصلةَ الجلاّدِ..

امرأة دوَّختِ الشمسا

جرحت أبعادَ الأبعادِ..

ثائرةً من جبل الأطلس

يذكرها الليلكُ والنرجس

يذكرُها .. زهرُ الكبَّاد..

ما أصغرَ(جان داركَ) فرنسا

في جانب(جان داركَ) بلادي.

جميلة بوحيرد

ولدت سنة (1935 في حي القصبة، الجزائر العاصمة) هـي مجاهـدة جزائريـة من أكبر المناضلات اللائي ساهمن بـشكل مباشـر في الثـورة الجزائريـة علـى الاستعمار الفرنسي، في منتصف القرن الماضي.

ولدت جميلة من أب جزائري مثقف وأم تونسية من مدينة صفاقس. وكانت البنت الوحيدة بين أفراد أسرتها، فقد أنجبت والـدتها 7 شبان. كـان لوالـدتها التاثير الأكبر في حبها للـوطن، فقـد كانـت أول مـن زرع فيهـا حـب الـوطن وذكرتها بأنها جزائرية لا فرنسية رغم سنها الصغيرة آنذاك.

واصلت جميلة تعليمها المدرسي، وكان الطلاب الجزائريون يرددون في طابور الصباح: فرنسا أُمُّنا. وكانت جميلة تصرخ وتقول: الجزائر أَمُّنـا! فأخرجهـا نـاظر المدرسة الفرنسي من طابور الصباح وعاقبها عقابـاً شـديداً، لكنهـا لم تتراجـع. التحقت بمعهد للخياطة والتفصيل، فقد كانت تهوى تصميم الأزياء. مارسـت الرقص الكلاسيكي، وكانت بارعة في ركـوب الخيـل، إلى أن انـدلعت الثـورة الجزائرية عام 1954 حيث انضمت إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية للنضال ضد الاحتلال الفرنسي، وهي في العشرين من عمرها.

ثم التحقت بصفوف الفدائيين، وكانت أول المتطوعـات لـزرع القنابـل في طريق الاستعمار الفرنسي، ونظراً لبطولاتها أصبحت المطاردة رقم 1.

تم القبض عليها عام 1957 عنـدما سـقطت علـى الأرض تنـزف دمـاً بعـد إصابتها برصاصة في الكتف، وألقي القبض عليها وبدأت رحلتها القاسية مـن التعذيب، من داخل المستشفى بـدأ الفرنـسيون بتعـذيب المناضـلة، وتعرضـت للصعق الكهربائي لمدة ثلاثة أيام كي تعترف على زملائها، لكنها تحملت هـذا التعذيب، وكانت تغيب عن الوعي وحين تفيق تقول الجزائر أُمُّنا. حـين فـشل المعذِبون في انتزاع أي اعتراف منها، تقررت محاكمتها صورياً وصدر بحقها حكم بالإعدام عام 1957، وتحدد يوم 7 مارس 1958 لتنفيذ الحكم، لكن العالم كله ثار

واجتمعت لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، بعد أن تلقت الملايين من برقيات الاستنكار من كل أنحاء العالم. تأجل تنفيذ الحكم، ثم عُدّل إلى السجن مدى الحياة، وتم ترحيلها إلى فرنسا وقضت هناك مدة ثلاث سنوات ليطلق سراحها مع بقية الزملاء عام 1962 وبعد تحرير الجزائر، خرجت جميلة بوحيرد من السجن، وتزوجت محاميها الفرنسي.

لها جملة شهيرة قالتها أثناء السجن:" أعرف أنكم سوف تحكمون علي بالإعدام لكن لا تنسوا أنكم بقتلي تغتالون تقاليد الحرية في بلدكم، ولكنكم لن تمنعوا الجزائر من أن تصبح حرة مستقلة".





نماذج من الثورة في النص الشعري

لم تأت ثورة نوفمبر من فراغ، ولكنها خرجت من رحم معاناة الشعب الجزائري على مدى قرن وأكثر من عقدين من الزمن جراء القهر الذي مارسه الاحتلال الفرنسي على مختلف الأصعدة. ولقد طبعت مسيرة الشعر الحديث في الجزائر، من خلال القضايا التي عكسها الشعر الجزائري في هذه المرحلة من تاريخ البلد والموضوعات التي تناولها. وكان الشعر نتاج مرحلة هامة من نهوض الحركة الوطنية عموماً، والحركة الإصلاحية خصوصاً، وثورة نوفمبر بالأخص، تفاعل معها وعبر عنها، تعبيراً حياً صادقاً، بود وإخلاص، فجسد جوانب مختلفة مما كان يتفاعل في المحيط من قضايا وانشغالات، وطموح وآمال، فكان بذلك نغماً جوهرياً في صوت الجزائر بوجهها العربي الإسلامي، وملامحها الإنسانية

وانبثق الشعر في الجزائر في هذه المرحلة من صلب بيئة عربية إسلامية، شاهدا على مأساة الحياة الإنسانية تحت الاحتلال الفرنسي الذي جثم بكلكله على الجزائر قرنا واثنتين وثلاثين سنة 1830-1962 م، فوجد الشاعر الجزائري نفسه منذ فجر فتوته في مواجهة المحنة العامة، استبداداً وظلماً وقهراً ومسخاً، يحاول به الاحتلال فعل كل شيء بالوطن، وفي المقدمة سلخه عن امتداده الطبيعي عربياً، وإسلامياً عموماً، لتجريده من انتمائه الحضاري، فينتهي الأمر بالشاعر من البداية إلى التموقع في خندق النضال الوطني، متحسساً آلام الأمة والوطن وآمالهما، كما اتسعت رؤاه وأفكاره لتحتضن قضايا الإنسانية في مختلف أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي وخارجه، تعيش في أعماقه أشواق مجنحة لرؤية الوطن العربي كله متحرراً متوحداً، قوياً عزيزاً ورؤية الأمة الإسلامية جمعاء تستعيد دورها التاريخي الحضاري، متكاتفة متآزرة.

DL 1971/2012



9789961482179